

الاحتلال: خطوة إثر خطوة

نحو زيت كان نموذجاً للتصميم على اذلال العقبات وتحمل مسؤولية المجازفات والتي تبررها الفرص المناسبة.

كان شيخ بارزان قد استسلم للاتراك في مساء يوم البارحة.

٤٢. **القوة الغربية.** في ٢١ حزيران وصلت قوات الخيالة الى تيلي Taili

(.....) واستسلم ٨٣ شخصاً مع ٧٠٠ رأس ماشية. وفي ٢٤ من شهر حزيران عبرت قوات البوليس شمزيدينان واحتلت مناطق مزوري.

٤٣. **تحرك قوة سيلكول.** في ٢١ حزيران تم سحب الحامية العسكرية من

هوستان، وتشكلت قوة في بارزان سميت بسيلكول Sailcool وكانت مؤلفة من رتل وسرية اضافة الى فصيلة عسكرية، وكانت مهمتها التحرك نحو سيلكى لتحقيق الاهداف التالية: (١. الملحق F يظهر جريان المعارك للجيش العراقي في ١٩/٦/١٩٣٢)

١. منع وصول المؤونة من منطقة سيلكى (١) الى العدو. (١) استحال

بعداحتلال هذه المنطقة و منطقة أركوش Argosh تزود شيخ أحمد واتباعه بالمؤونة. (

٢. لتقوية الخط العام عبر جبل شيرين وتسهيل تحرك قوات البوليس الى ميروز.

٣. التعاون مع قوة ديكل في العمليات ضد زيت اذا ما تطلب الامر.

٤. بناء مركز بوليس مؤقت في سيلكى. تحركت قوة سيلكول في ٢٢ ووصلت

الى سيلكى في ٢٤، وكانت المؤونة تكفي لمسيرة ثلاثة ايام، لذلك تم تزويد القوة بحصص كافية لسبعة ايام من قبل السلاح الجوي الملكي العراقي في موقع سيلكى.

٤٤. **التعاون الجوي.** خلال جميع مراحل العمليات قدمت المساعدات

بسواء من قبل السلاح الجوي الملكي البريطاني، السرب رقم ٣٠، وكما كان الحال في السابق، فقد كان التعاون وثيقاً مع الجيش العراقي، وكانت القوة الجوية البريطانية على اتم الاستعداد ودوماً لتلبية المتطلبات اياً كانت المجازفات. وقام الطيارون بأداء دورهم بكفاءة وبإخلاص مما نال اعجاباً متناهياً من قبل قوات المشاة.

والنموذج المتميز لمثل هذا التعاون حصل عندالتقدم النهائي نحو زيت، فقد

قصف السرب رقم ٣٠ وفيما بعد قام السرب القاصف (٥٥) بضرب مكثف

للمواقع حول زيت، وبقي السرب بعد ذلك متأهباً لتقديم دعم مباشر لقوات

المشاة ان جابهت الاخيرة بمقاومة جديّة. واخيراً اسقط السرب رقم ٣٠ المؤونة

للقوات في زيت عند وصول هذه القوات الى مقصدها.

لقد اشاد قائد القوة الجوية (قيادة العراق) الى كفاءة ومنجزات القوة الجوية العراقية، والتي كانت تعمل تحت امرته خلال جميع مراحل الحملة. ان هذا امر يدعو الى امتنان كبير ، اذ بدأت هذه القوة بداية مرضية وحيث يعتمد عليها في العمليات المستقبلية في العراق.

٤٥. قيادات الجيش. الفريق طه الهاشمي، رئيس الاركان العام ضابط متميز وعسكري قدير. لسوء الحظ ذهب الى استنبول في اجازة في بداية شهر مارس/ آذار وعاد الى العراق في ٧ من شهر ابريل/ نيسان. وكان يقوم بادارة المهام نيابة عنه وبشكل جيد العقيد محمد نظيف عبداللطيف الشاوي وهو برتبة G.S.O.Ist .

المهام المتعلقة بالمؤونة يديرها الزعيم شاکر عبدالوهاب بكفاءة. يعتبر وزير الدفاع جعفر العسكري عماد القيادة حالياً. ونظراً لشجاعته وكونه جندي بالفطرة فقد كان لزيارته الى الجبهة تأثير كبير على معنويات القوات.

٤٦. الزعيم خليل ابراهيم الذي قاد العمليات ضد شيخ محمود في العام الماضي كان يقود قوة ديفورس Diforce والعقيد اسماعيل ابراهيم نامق كان يقود قوة بازكول Bascol كلا الضابطين قاما بمهامهما على احسن وجه . سحب القائد الاصيل لقوة ديكول اثر فشله في ٣ ابريل نيسان وخلصه العقيد عبدالحميد ابراهيم الشلجي، وبعد خلفه العقيد أحمد رشدي الحاج محمد. الاثنان الاخيران قاما بالتعاقب في قيادة البتاليون الثالث والثاني، وكما كان الحال في الماضي، برهنا على شجاعة وكفاءة في قيادة الارتال. وفيما عدى الاسماء التي اشرنا اليها، لا يوجد لاسف ضباط كفؤين للقيام بمهام القيادة بشكل مستقل. ونجم عن هذا توظيف نفس الضباط في المهام بشكل متكرر، اضافة الى ذلك ولاسباب سياسية ومحلية فانه من الصعب تبديل الضباط الذين اثبتوا عدم كفاءة في القيادة. لذا فان طريق الترقية مسدود امام الضباط الشباب الذين اثبتوا كفاءة ومقدرة. اضافة ، هناك القليل من التعامل المتبادل بين كبار الضباط في مراكز قيادات الجيش وبين كبار الضباط في الوحدات.

٤٧. الانضباط. اوضحت عدة حوادث عن نقص كبير في الانضباط لدى عدد من الضباط امام العدو، ومع هذا بقوا في وحداتهم. بعد ان هددت بالاستقالة ان لم يقدم هؤلاء المقصرون الى محكمة عسكرية، نجحت في ضمان معاقبة هؤلاء الضباط.

الاحتلال: خطوة إثر خطوة

كنت قد اشرت مراراً أنه لا التدريب الجيد ولا الاسلحة الحديثة ولا شجاعة الجنود يمكن ان تصنع جيشاً جيداً، ان لم تتوفر شروط الانضباط داخل سلك الضباط واختيار القيادة.

لسوء الحظ ورغم ان وزير الدفاع ورئيس اركان الجيش كلاهما يؤيدان وجهة نظري في هذه النقاط، الا ان الضغوط السياسية والعائلية أردت آرائهما غير مؤثرة.

بالتأكيد المحسوبة والمنسوبة منتشرة، زالت هذه في اوساط الجيش البريطاني منذ زمن بعيد، لكن حتى هناك لم يحصل هذا الا بعد صراع طويل وصعب. من المستحيل تقريباً في اي جيش اسلامي معالجة هذا المرض، فالعلاقات مشروطة وينص عليها القرآن ولذا تعتبر من الواجبات الدينية.

٤٨. تعاون الاداره المدنية. كان عمل السلطات المدنية في الاراضي المحتلة في البداية بطيئاً، لكن في ٢٧ من شهر ابريل نيسان عين الكابتن W.A. Lyon ضابطاً سياسياً في شبروان فتحسنت الامور بشكل ملحوظ. بدأ الكابتن مهمته بحماس وهمة مما جلب له تقدير السكان، كما انه بنى علاقات ودية مع اوساط الجيش. كان لكل ذلك أثر ايجابي. ان تحكيم السيطرة والذي كان الهدف الاساسي للحملة بدأ منذ شروع الكابتن مهامه ، واستمر التحسن فيما بعد.

قدمت قوات البوليس خدمات مجدية، واستخدمت منذ البداية في مهام عسكرية صرفة، وعندما سمحت الظروف تم تحويلهم بالتدريج الى السلك المدني. لقد كانت المهام التي نفذتها الخيالة من البوليس في المناطق الريفية شاقة وصعبة. كما ان اسلوب أداء الواجبات اوجدت لها رصيماً جيداً.

٤٩. أثر الاستسلام. باستسلام شيخ أحمد مع ٤٠٠ من انصاره الى الاتراك توقفت المقاومة. واتخذت ترتيبات فورية لاقامة مراكز البوليس وشق الطرق (انظر ملحق ١) وذلك لانتهاء العمل قبل حلول الشتاء او في نهاية شهر جولاى. كان العمل قيد التطور في المراكز الهامة ، في ناحية مييركه سور، شيروان مازن، بارزان، خيرزوكا، ريزان، كاني بوت، شنكيل، سيلكى، ميروز و نه ركوش. استمر العمل في الطريق المنجز حتى مييركه سور للوصول به حتى جه مى في ٦/١٨. حيث يتوجب اقامة جسر هناك.

عاد الكثيرين من السكان الى قراهم في نهاية شهر تموز/جولاى وهم سعداء لكونهم تخلصوا من اضطهاد شيخ أحمد، لكنهم في حالة عوز تامة. وقد عانوا خلال عام كامل من الغزو والنهب، اعقبه عام آخر من الحرب، ولم يزرعوا حقولهم.

٥٠. **توصية لمنح جوائز.** لي الشرف ان اقدم التوصيات التالية تقديراً للشجاعة وللخدمات المتميزة التي قدمت خلال الحملة:

Major E. G. Warren.
Major P. W. Clark.
Lieu. E. C. Mansergh. R. A.
Lieut. H. J. Laverty.
Lieut. C. B. R. Pelly. R.A.F.

في برقيتي المؤرخة في ٢٤مايس/ماي ١٩٣٢ كنت قد قدمت الاسماء المشار اليها اعلاه لنيل الترفيعات وهنا نفس التوصيات مكررة.
فيما عدى الميجر **Major E.G. Warren** والذي كان قد انسحب في ١١ حزيران/جون تمهيداً للعودة الى بريطانيا اذ كان عقده قد انتهى. جميع هؤلاء الضباط استمروا في تقديم خدمات هامة حتى نهاية الحملة بالأخص **Ma-jor E.G. Warren** الذي استمر في القيام بواجباته كضابط ارتباط عريق مع قوة ديكول كما انه رافق المجموعة التي قامت بالعملية الشجاعة والتي ادت الى تحطيم الجسر أسفل ليربير، والميجر **Major P. W. Clark** الذي قدم خدمات تقنية ثمينة عند معبر نهر روكوجك .
سأكون ممتناً لو نفذت هذه التوصيات الخمس قبل الآخرين.
وفيما يلي اقدم توصيات اخرى للترفيح.

Brigadier-General H.R. Headlam
Major (Rt.Lieut, Colonel) R.P. Dickinson

لقد قدم الأخير ارشادات إدارية هامة في المراحل الأولى للحملة. كان ضابط ارتباط من ٢٣ ابريل/نيسان الى ٢٧ ماي/مايس في مركز قوة ديفورز، حيث ساهم بشكل كبير من خلال حرصه و حيويته ودعمه لقيادة القوة في ضمان نجاح الحملة. واخيراً من ١١ حتى ٢٢ من شهر حزيران/جون عمل كضابط ارتباط في قوة ديكول وكان حاضراً اثناء عبور نهر روكوجك والتقدم نحو زيت. ان الفضل في تذليل العقبات تمهيداً للعملية الاخيرة الموفقة يعود الى تصميمه الشخصي الى حد كبير..

الاحتلال: خطوة إثر خطوة

اوصي في ان ينال وسام قائد في الامبراطورية البريطانية C.B.E.
Captain (Bt, Major) C. W. Allfrey, N.C. Royal Artillery.

شارك في الحملة من ٣ من شهر ابريل / نيسان واستمر فيما بعد. كان يعمل مع قوة ديكول ويعمل ايضاً كضابط ارتباط في مقر قوة ديفورز. في هذين الواجبين اثبت كفاءة عسكرية بارزة وشجاعة. وعندما كان مع قوة ديفورز، كان يواصل دراسة الوضع من الجو وكان يتمتع بقدره هادئة وموزونه في الحكم، لذا كان مؤهلاً لاعطاء إرشادات جيدة الى (القيادة العراقية) خصوصاً في الأوقات الصعبة من ٣ الى ٦ ابريل / نيسان.

اوصي بمنحه وسام الخدمة المتميزه Distiguished Service Order .
Flight Lieutenant (Hon. Sqdrn. Leader) V.D. O'Malley. NC.
R.A.F.

قدم خدمات ثمينة الى الجيش بشكل عام ولباركول بشكل خاص اثناء جميع مراحل الحملة وذلك من خلال عمله الذكي وخبرته عن الجيش العراقي كذلك التقدير الذي تمتع به من الضباط العراقيين شكل مصدراً ثميناً في الربط بين السلاح الجوي البريطاني وقوة باركول.

الميجر جنرال

المفتش العام للجيش العراقي

(أنظر الى الخرائط في الملاحق : ١, ٢, ٣, ٤, ٥, ٦, ٧).

المقاومة الكردية

بارزان بعد الاحتلال

المقاومة الكردية

بارزان بعد الاحتلال

شغل السير ف . همفري منصبى المندوب السامى للحكومة البريطانية والقائد الأعلى للقوات المسلحة العراقية ، وكان أحد كبار الداعين الى الحاق كردستان بالعراق ، وسيرى القارىء مدى تحامله على المقاومة الكردية في بارزان وحقده على شيخ بارزان وتحريفه للواقع تبريراً للجرائم التي ارتكبوها في كردستان من خلال رسالته السرية وهذا نصها:
(سري)

من السير ف . همفري الى السير جون سيمون .
تأريخ الوصول ١٩٣٣ / ٢ / ٢٠

تأريخ الارسسال ١٩٣٣ / ٢ / ٩

١٩٣٣

يشرفني أن أبعث لكم طياً نسخة من تقرير مارشال الجوايدكار لودلاو هويت حول عمليات بارزان في عام ١٩٣٢ حيث ذكر ذلك السير هيوبرت بانك في برقيته المرقمة ٩٩٥ والمؤرخة في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٢ . ورغم مضي سبعة اشهر على انتهاء هذه العمليات الصعبة والتي جرت في فترة كنت أشغل فيها منصب المندوب السامى لحكومة جلالته والقائد الاعلى للقوات المسلحة العراقية، لذا أريد ابداء بعض الملاحظات وعسى ان لاتكون في غير محلها .
٢ . في الفقرة الرابعة من برقيتي السرية الى سكرتير الدولة لشؤون المستعمرات والمؤرخة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٢ ، اوضحت ان أملي كان راسخاً من اننا وبإسناد القوة الجوية البريطانية سنتمكن من بسط السيطرة على الاراضي التي يحكمها شيخ بارزان حكماً تعسفاً ووضع هذه الاراضي تحت تصرف الحكومة العراقية خلال صيف ١٩٣٢ ، وبهذا يكون السلام قد ساد المناطق الشمالية من العراق . لقد تحقق هذا الامل لحسن الحظ والفضل الاكبر يعود للجيش العراقي الذي اثبت كفاءته في اولى تجارب القتال الجديّة في منطقة جبلية، ويعود الفضل بشكل خاص الى الميجر جنرال روان روبنسن والى ضباط البعثة العسكرية البريطانية الذين كانوا مسؤولين في الوقت ذاته عن الاستعدادات وعن تنفيذ خطة العمليات وعن الاسلوب الضد الذي حقق الهدف .

٣ . وفي كل الاحوال ليس لدى شك في إستحالة تحقيق هذه النتيجة

الناجحة في فسحة زمنية مؤلفة من عدة أشهر لولا المساعدة الفذة للقوة الجوية الملكية في تنفيذ الخطة العامة. ففي إحدى العمليات بوجه خاص انقذت المساهمة اليقظة والجريئة للسرب رقم ٣٠ من القوة الجوية الملكية دون شك القوات العراقية من كارثة محققة ، وفيما بعد، في اللحظات المناسبة، لعب إسناد أسراب الطائرات القاصفة رقم ٥٥ و ٧٠ من القوة الجوية الملكية دوراً ليس فقط في احياء المعنويات المنهارة للافواج العراقية ، إنما كان عاملاً في إعادة صلاحية هذه القوات وتموينها بالمؤن، إذ كانت قد فقدت جميع نقليتها تقريباً وكان أسلوب إدارة الحملة من قبل مارشال الجو السير ايدكار لودلاو هيويت عملاً في غاية الروعة .

علاوة على ذلك اودّ اعلامكم بأن عملية الانقاذ الجريئة التي قام بها سكرتيري الشرقي الكابتن هولت لاثنين من طياري السلاح الجوي البريطاني وقعا في اسر شيخ بارزان بعد سقوط طائرتهما، لم تكن ممكنة دون التحلى بقدر كبير من اللباقة والشجاعة ومعرفة جيدة بطبيعة المنطقة . (هذه مبالغة كبيرة، إذ سلّم شيخ بارزان الطيارين تلقائياً بعد ان عاملهما معاملة جيدة . فمعاملة الاسرى الاجانب بالحسنى معروفة في عرف شعب كردستان) (١)

٤. وبما ان هدف وطبيعة هذه العمليات قد تعرض الى التشويه من قبل أشخاص معينين في بريطانيا، ارى لزاماً عليّ الاشارة وباختصار الى المشكلة التي جابهت الحكومة العراقية . لقد كان شيخ بارزان آخر زعيم اوتوقراطي قبلي في كردستان ورغم اننا عرضنا عليه معاملة منصفة وشريفة في الاستيطان الا انه أبى وبعزم وضع منطقتة تحت سيطرة الحكومة المركزية في بغداد وحمل النار والسيوف في طول وعرض المناطق الشمالية فرفض دفع الضرائب ولم يحترم القانون ووصل حكمه الظالم والوحشي حدوداً لا يمكن التسامح معها من اية حكومة تحترم نفسها . فالغالبية العظمى من الاكراد يزدرونه لجنبه ويكرهونه لضاوته وظلمه، وفيما عدى عصابة مؤلفة من ٥٠٠ من المؤيدين المتعصبين والذين كانوا يسمنون على النهب والسلب لشيخ بارزان فإن عدد اصدقائه قليل والاكراد ممتنون لتخلصهم منه . ومن دواعي الرضى ان تكون المنطقة الثائرة التي كان يحكمها شيخ بارزان حكماً تعسفياً قد وضعت تحت الادارة المدنية للحكومة العراقية وذلك قبل عدة اشهر من انتهاء الانتداب البريطاني . ولو كان العكس قد حصل، لكان ذلك يعني اننا لم نهيء بداية جيدة للحكومة العراقية في كردستان ، لانني لا أعتقد انه كان في مقدورها القضاء على هذا العش من النهابين والمجرمين الا من خلال عمليات مطولة لم

تكن الحكومة العراقية مستعدة لها بدون عمليات القصف المكثفة الناجحة التي نفذتها القوات الجوية الملكية . (٢)

ف . همفري

اما مراسل جريدة التايمس اللندنية فلايشاطر الشعور بالاعتزاز مثل السير ف . همفري فيما يخص عمليات «القصف الجوي الرائعة في كردستان» ، هذا المراسل لديه إنطباع آخر مختلف تماماً، اذ يقول : «ظلّ السلاح الجوي الملكي يقصف الاكراد خلال السنوات العشر الماضية وبشكل خاص خلال الستة أشهر الاخيرة ، فالقرى المدمرة والماشية المقتولة والنساء والاطفال المشوهين، تقف آثاراً شاهدة على مدى انتشار نماذج حضارية منسقة.» (٣)

ولنعد الى ماكان يجرى في الاراضي المحتلة حديثاً. بعد التجاء شيخ بارزان وانصاره الى تركية، قامت السلطات العراقية بتطبيق الخطة المرسومة في بناء المخافر الحكومية بشكل واسع، كما تقرر الابقاء على اربعة افواج في المنطقة المحتلة لمساعدة السلطات الادارية، وتقرر كذلك ابقاء قوات الشرطة مرابطة في المراكز الهامة ووضعها تحت امرة السلطات الادارية.

الظاهر ان بناء المخافر بهذا الشكل الواسع في منطقة بارزان كان يعكس حقيقة نوايا السلطات العراقية في حكم الشعب عن طريق القوة والارهاب، وكانوا يعرفون مدى نفور الكرد من حكمهم. الجدير بالذكر ان المخفر العراقي لعب دوراً كبيراً في حياة السكان الكرد في تلك الاصقاع . فالمخفر شيد في موقع يطل على القرى ويراقب منها تحركات السكان، كما ان القرية هدف سهل لرصاص البوليس، ثم ان هندسة بنائها يأخذ في الاعتبار تمرد الاهالي وحصارهم للمخفر. فالتحصينات فوق السطح والنوافذ الصغيره التي تطل على الجهات الاربع وبنائها من الصخور، كل ذلك يعكس خوف المحتلين من سخط المحكومين.

تعتبر كلمات (جنדרمه.. بوليس...شرطي) كلمات بغيضة جداً لدى الشعب الكردي ، ففي الماضي كان الجندرمة التركي رجلاً فظاً غليظ القلب يعامل الاهالي بقسوة وجبروت ومن هنا اصبح رمزاً لطغيان السلطة الحكومية ، وجاء الشرطي العراقي لا لكي يزيل من الذاكرة فظاظة الجندرمة التركي وانما ليعمق اكثر الشعور الشعبي بالرفض والسخط لدى الكردي. فالشرطي العراقي كان يعامل الاهالي معاملة إذلال ويتذرع بشتى الحجج للتضييق عليهم. فتارة بذريعة سوقهم الى الخدمة العسكرية، واخرى اتهامهم باخفاء الاسلحة، واحياناً بحجة

المقاومة الكردية

ايواء الخارجين عن القانون او تقديم الطعام ومساعدة المتمردين، ولهذا ليس من المستغرب ان ينطبع ذلك في الفولكلور الكردي او الادب الشعبي، اذ ان معظم الحكايات الكردية تستهل بالعباره التالية: كان ماكان في قديم الزمان، اللهم اغدق برحمتك على كافة المستمعين وآبائهم واحرم منها الجندرمة والتحصيل دار (جامع الضرائب). ان معظم اهالي الريف الكردي وبالاخص المناطق الثائرة يحملون ذكريات مره عن حكم المخافر حيث الاعتداء على حقوق الناس والاستيلاء على اموالهم وما لا يحصى من الاهانات وعقوبات السجن، وكنتيجه لهذه المعاملة اللاانسانية فان كلمة (بوليس) ترادف لدى الكردي شتيمه واهانة كبيرة اذا ماوصف بها.

وفي الوقت الذي كانت السلطات العراقية منهمة في تشييد المخافر في الاراضي الكردية المحتلة، كان المقاتلون الكرد عبر الحدود التركية وقبل الاستسلام للاتراك قد رتبوا إخفاء السلاح، وقد صدر أمر من شيخ بارزان على ان يجتمع انصاره في (بشتانيري) وان لايستصبحوا معهم سلاحهم الى ابعد من تلك النقطة، وقد اخفيت في متاهات الجبل حوالي ٤٠٠ قطعة سلاح جيدة.

والآن نترك الكلام لاحد المشاركين في هذه الاحداث الدرامية وهو السيد حسين خال ملا بابكي، اذ يقول: « غادر شيخ بارزان الى (فرونس) ثم الى (زينيا آسنكرا) ثم الى (داري) والى (دزي) والاخيرة تعتبر مدينة صغيرة ذات سوق. و كنا أكثر من ٤٠٠ عائلة وقد حطينا رحالنا على ضفاف النهر وفي اليوم الثالث صدرت الاوامر بعبور النهر من فوق المعبر، لكن الجنود الترك اوقضوا عملية العبور وبهذا اصبحنا مجموعتين، المجموعة التي عبرت الى الضفة الاخرى، وكانت مكونة من شيخ بارزان واخوته وعوائلهم وبعض المسؤولين البارزين، بينما نحن الغالبية من الشعب، منعونا من العبور والالتحاق بشيخ بارزان، لكن بعد سبعة ايام غادرنا الى (باشقال) للالتحاق بالبقية الباقية ثم من هناك الى (خوشقى) ووصلنا بعد ذلك الى مدينة (وان) حيث اقمنا تحت جدران القلعة، وكان الجنود الترك يرافقوننا، ثم امرنا موظف حكومي ان ينفصل العجزة والمرضى والجرحى عن البقية، وذلك لاجل نقلهم بالباخرة الى (ارديش) على ضفاف بحيرة (وان) ولدى وصولنا لم نشهد شيخ بارزان، اذ كانت السلطات التركية قد نقلته الى (حسن قلا) ثم الى (سيواس) والى ارضروم .

بقينا في (ارديش) حوالي اثني عشر يوماً، ثم امرنا الترك بالتأهب للرحيل، في هذه المرة أعادونا نحو الحدود العراقية برفقة قوة من الحماية التركية. مررنا

بارزان بعد الاحتلال

على التوالي بـ (دزى) والى (هورمار) ثم الى (شت يونس) والى (اركوش) و(زيت)، لقد كانت عودتنا على ثلاث دفعات، ومكثنا في أوساط (الكرديين) والجميع كانوا مصممين على عدم الاستسلام للحكم العراقي. وفي اوساط الكرديين اخرجنا من جديد الاسلحة التي سبق وأن أخفيناها في متاهات الجبل، فتسلحنا من جديد.

كنا موزعين على شكل مفارز صغيرة، فإلقاه حسن محمد امين ، شريف ملا حسن ، يوسف صفتي و ملكو ژاژوكي كانوا في اطراف (نهافا) بينما أحمد نادر كان في اطراف (سه روكانى) وعبدالله كلكه موى في أطراف (مام ره شا) وبقي خليل خوشفى في أنحاء (بيروخ) .»

يظهر ان الحكومة التركية تفادت اعالة هذه العوائل الهاربة من العراق فساقتهم من جديد نحو قرى الحدود، وكانت القوات التركية في هذه الفترة منهمكة في نزع سلاح أكراد بوتان (٣) وعشائر (الموتكى) وال (Goyan) وال (شراخ). كانت سياسة تترك كردستان قيد التطبيق، فهدم الريف الكردي ومصادرة جميع قطعان القرويين وترحيل السكان الى خارج كردستان والقضاء على كل من يقاوم هذه السياسة، كان الشغل الشاغل للجيش التركي في كردستان. وفي كل الاحوال لم يسفر إحتلال أراضي بارزان عن السيطرة الكاملة، اذ استمرت الاضطرابات وذلك لان بعض المسلحين الكرد، ظلوا داخل المنطقة المحتلة ولم يلتجأوا الى تركيا مع شيخ بارزان، وهؤلاء المسلحون كانوا يؤلفون عصابات صغيرة ذات سرعة وخفة في التحرك.

انتقد الزعيم الركن حسن مصطفى موقف الحكومة التركية قائلاً: «لم تتخذ الحكومة التركية تدابير جدية ضد العصاة الملتجئين الى أراضيها واكتفت بإبعاد الشيخ أحمد وقسم من اتباعه فقط الى ارضروم». (٤) وقد احتجت الحكومة العراقية لدى الحكومة التركية طالبة من الاخيرة ابعاد الاكراد عن مناطق الحدود او تسليمهم الى السلطات العراقية.

تجمع إخوة شيخ بارزان مع عوائلهم وبعض من اتباعهم في قرية (نيرى) وارسلوا خبراً الى القادة الذين كانوا خارج حكم الدولتين، العراقية والتركية، طالبين منهم المجيء لنقل العوائل الى مناطق الحدود، وكانوا يخشون من المماثلة ومن تغير في موقف الاتراك وفرض الإقامة على اللاجئين في مناطق بعيدة عن بارزان. وفعلاً «أزاء إحتجاجات الحكومة العراقية المتوالية اضطرت الحكومة التركية ان تتخذ تدابير مشددة ضد العصاة مما حدى بهم الى الالتجاء أخيراً الى الحدود العراقية بحجة التسليم وعرض الطاعة» (٥)

واجهت المجموعات البارزانية الملتجئة الى تركيا وضعاً صعباً لا يقبل المماثلة، فاذا ما نقلوا عوائلهم الى مناطق بارزان الحدودية دون تفاهم مع الحكومة العراقية ودون اتفاق مع الحكومة التركية، فان الحكومتين قد تشنان حملات مشتركة ضدهم، ويصعب إعالة هذا العدد الكبير من العوائل وضمنهم أطفال، على حدود الدولتين. أخيراً قرر المجتمعون بقيادة أحمد نادر نقل جميع العوائل الى (نيرى) فتأهبت العوائل للتحرك نحو الحدود العراقية، وبحلول الليل بدأت المسيره سراً، واستغرقت الليل بطوله حتى وصلوا (بناقوك) وآخرون الى (زيت) و (Girane) و (رزى) وافاد حسين خال ملا بابكى: « قضينا الشتاء موزعين في القرى الواقعة على تخوم الحدود العراقية التركية، نترقب التطورات حتى حلول الربيع في عام ١٩٣٣ ». وتعتبر الفترة الواقعة بين شهر تموز/ يوليو من عام ١٩٣٢ و ربيع عام ١٩٣٣ فترة مشوبة بالقلق بالنسبة للسلطات البريطانية والعراقية، فرغم الاحتلال العسكري لمنطقة بارزان، بقي احتمال تجدد القتال وارداً، وبهذا الصدد أبرق المندوب السامي البريطاني، ف . همفري الى وزارة الخارجية مع نسخة مكررة من نفس البرقية الى السفارة البريطانية في انقره:

السفارة البريطانية . بغداد

١٩٣٢ / ١ / ٢٥

سيدي

لي الشرف ان اعلمكم بأن وزارة الخارجية إستلمت من الموصل عدداً من التقارير في نهاية شهر كانون الاول، تفيد بأن عدداً من الزعماء التابعين للشيخ أحمد البارزاني ، ضمنهم محمد صديق، أخ الشيخ ، قد ظهروا على الحدود وبدأوا بتنظيم عصابات مسلحة و حصل إشتباك بين إحدى هذه العصابات وقوة من البوليس قرب ميركه سور (ناحية شيروان) وقتل فيه أحد أفراد العصابة.

٢ . وعلى ضوء آخر الاخبار التي وصلتني يبدو ان الاتراك قد أخلوا سبيل جميع الرجال الذين إستسلموا في الصيف الماضي بإستثناء الشيخ أحمد، ويبدو ان مجموعة هامة من هؤلاء تعيش في القرى القريبة من الحدود وخارج أية سلطة حكومية.

٣ . إحتجت الحكومة العراقية لدى الحكومة التركية، وقررت الحكومة العراقية العضو عن جميعهم عدى شخص واحد هو خليل خوشقى (متهم بارتكاب جريمة قتل وحشية) وذلك في حالة تسليمهم إما في زاخو أو كانى ره ش من قبل تركيا وبحمايتها.

٤. من المؤمل ان توافق الحكومة التركية على هذا الاقتراح، وفي حالة الرفض فانهم في الوقت الحاضر لايشكلون خطراً كبيراً بسبب الثلوج الغزيرة التي تغطي المنطقة، لكنهم كما يبدو قد يصبحون في الربيع مصدر إرباك جدي للسلطات المحلية في منطقة بارزان المحتلة حديثاً .
٥. ارسلت نسخة من البرقية الى سفير جلالته في استنبول .

المطيع

ف . همفري . (٦)

تحتوي أرشيفات الحكومة البريطانية على تفاصيل دقيقة لتطورات هذه الفترة وتكشف طبيعة التعاون البريطاني - العراقي في مجابهة الكرد . ومن الطريف ان القوة الجوية الملكية البريطانية في مطاردتها للأكراد خارج الحدود المصطنعة قامت بقصف قرية كردية ضمن حدود تركيا (بيروخ) وعلى أثرها طالبت الحكومة التركية تعويضها عن الخسائر. ولم يكن واضحاً من الذي سيدفع هذه التعويضات، الحكومة العراقية ام الحكومة البريطانية. كانت العادة هي ان لا يطلب من الحكومة العراقية أية مساعدات لأعمال نفذها السلاح الملكي البريطاني بهدف إخضاع الكرد لسلطة بغداد . (٧)

اعتبر القصف الجوي لكردستان عام ١٩٣٢ تجربة غنية بالدروس لذا قدّم إقتراح تبني هذا الأسلوب في تنفيذ العمليات في الحالة الراهنة (٨) ويشير التقرير المختص بهذه العمليات الى ضرورة تداوله ضمن دائرة محددة تقتصر على الأشخاص المختصين والذين لا يزالون تحت الخدمة.

وبخصوص الاوضاع غير المستقره على الحدود تشير الأرشيفات البريطانية إلى مايلي :

«من المعتقد ان إخوة شيخ بارزان محمد صديق و ملا مصطفى قد جمعوا حوالي ٣٠٠ من الأنصار قرب الحدود الى جنوب سهل (كوفندي) وعلى أثر الإحتجاجات التي قدمها السفير العراقي في انقره فقد لمحت الحكومة التركية عن رغبتها في تسليم جميع الزعماء البارزانيين، لكن يبدو أنهم لايملكون في الوقت الحاضر الوسائل الكفيلة لتنفيذ ذلك. وان لم يسلموهم او يبعدهم عن المناطق الحدودية، فانهم سيشكلون خطراً جدياً (٩) ولهذا طلب المندوب السامي البريطاني من الملك فيصل ان يلح على السفير التركي في بغداد للضغط على حكومته لتسليم الزعماء الكرد دون تأخير.» (١٠)

ركزت الدبلوماسية البريطانية والعراقية على إقناع تركيا في إبداء تعاون

أكبر ضد أكراد بارزان وتشير الأرشيفات البريطانية الى احتمال تجدد الاضطرابات في كردستان بنفس الحجم الذي شهدته المنطقة أبان إنتفاضة شيخ بارزان عام ١٩٣٢، وفي هذه الحالة ستواجه الحكومة العراقية أكبر الصعوبات للسيطرة على الوضع بما لديها من قوات مسلحة. (١١) كان خوف سلطات الاحتلال البريطانية هو نشوء وضع يستدعي تدخل السلاح الجوي الملكي من جديد. (١٢) هذا وأشار أحد التقارير السرية لوكالة المخابرات التابعة للسلاح الجوي الملكي البريطاني والتي كانت تترصد تحركات المقاومة الكردية عبر الحدود التركية الى ما يلي : «محمد صديق وعدد آخر من الزعماء البارزانيين هم الآن في قرية (Girane) ولم تظهر منهم لحد الآن أية بادرة إستسلام طوعية للحكومة العراقية ، وقررت الحكومة التركية رسمياً إنها ستسلم الزعماء الى الحكومة العراقية.....» (١٣) كما قدمت سلطات الاحتلال طلباً خاصاً لتسليم خوشقى لأنه قتل أحد رجال الشرطه !! . هذا الاهتمام من قبل سلطات الاحتلال بما سمته قضية اجرام (١٤) هو أمر غريب حقاً ولا ينسجم مع ما قامت به قواتها الجوية والبرية من عمليات القصف والدمار والقتل في كردستان خلال عشرات السنين.

في شهر كانون الثاني إستجاب انقره لمطالب بغداد ، فسلمت (حجي طه أميدي) الى الحكومة العراقية وهو رفيق شيخ بارزان في العديد من أعمال المقاومة وفي المنفى فسجنته السلطات العراقية في الموصل. وورد في أرشيفات الحكومة البريطانية عن التحقيق الذي جرى معه : «أعلن حجي طه لبلويس انه بذل كل ما في وسعه لاقتناع شيخ بارزان بالاستسلام للحكومة العراقية.» (١٥) لكن هذا التصريح كان موضع شك لدى السلطات البريطانية وفي هذا الصدد يشير أرشيف بريطاني الى مايلي : «على أية حال، انه امر مشكوك فيه ان يكون قد حث شيخ بارزان على الاستسلام وفق شروط الحكومة العراقية ، ولقد علمنا ان الحكومة العراقية تنوي فرض عقوبات ضد حجي طه المشترك في التمرد في مناسبتين ضد الحكومة، لكن نظراً لحساسية المرحلة الراهنة، فان تحديد أية عقوبة ضد حجي طه قد يكون لها مردد سلبي على الجهود المبذولة لحث محمد صديق وانصاره على الاستسلام، لذا فمن المحتمل ان تؤجل محاكمة حجي طه لبعض الوقت.» (١٦)

تشير الأرشيفات البريطانية المتعلقة بهذه الفترة الى تطورات الاوضاع في المنطقة الكردية وتذكر أسماء العديد من القادة الذين دافعوا بإستماتة عن أرضهم ضد تقدم قوات الاحتلال المشتركة، فتقول: «القائد شريف ملا حسن،

المتنرد الذي اصيب بجراح في إحدى المعارك مع قوات البوئيس في ميركه سور في ٢٢ ديسمبر ١٩٣٢، مات متأثراً بجراحه حسب المعلومات التي إستلمناها توأ. واستسلم أحمد بك كردي الى السلطات الحكومية...» لقد اثار عوده محمد صديق نحو الحدود بعض القلق لدى السلطات، وقد وردت تقارير مفادها انه ينوي جمع قوة مسلحة كافية لاجتياز الحدود الى داخل العراق في الربيع ، بهدف توسيع رقعة التمرد: «لكن موقف قبيلة مزوري بالا منه لم يخلق لدى الحكومة العراقية اية شكوك، هذا اذا ما إستثنينا القرويين القرييين من الحدود العراقية الذين زدوا الهاريين بكمية من المواد الغذائية.» (١٧)

كانت سلطات الاحتلال تترصد تحركات الزعماء البارزانيين حيث ورد اليها خبر اجتماعهم: «حضر الزعماء البارزانيون اجتماعاً عقد في Girane لبحث اوضاعهم الراهنة وقد نصح محمد صديق المجتمعين بالاستسلام الى السلطات وأشار الى عدم جدوى ادمة الوضع الراهن. لكن يبدو ان أحداً لم يؤيد وجهة نظره هذه، لذلك لاتزال نواياهم غامضة.» (١٨)

كان هذا الوضع صعباً بالنسبة لسلطات الاحتلال، وبالنسبة للسير . ف . همفري ، فان مفتاح الحل هو في يد الحكومة التركية، وأبرق الى لندن بنتائج محادثاته مع رئيس الوزراء العراقي وهذا نصها :

"من السير . ف . همفري الى السير جون سيمون (إستلمت في نيسان ١٩٣٣)

رقم ٢٢٠

بغداد ٦. نيسان ، ١٩٣٣

سيدي،

إشارة الى برقيتي رقم ١٥٨ والمؤرخة في ١١ آذار، لي الشرف ان أحيطكم علماً، انه قبل عدة ايام استدعاني رئيس الوزراء الجديد رشيد عالي بك ، تطرقنا اثناء النقاش الى الوضع القلق في الشمال، حيث لايزال اخوة الشيخ أحمد البارزاني وانصارهم يهددون السلام والنظام في المنطقه التي وضعت تحت ادارة السلطة الحكومية بعد انتهاء العمليات العسكرية في العام الماضي.

٢. اقترحت التشديد على الحكومة التركية اما القيام بازاحة هؤلاء الرجال من القرى الحدودية حيث هم الآن ، او ان تقوم بتسليمهم الى الحكومة العراقية، هذا في حالة موافقتهم على شروط الحكومة العراقية . كما ان اخفاق الحكومة التركية في السيطرة على هؤلاء الأبقين يعتبر دليلاً واضحاً على خرقها للمادة السادسة من معاهدة انقره .

٣. وافق رشيد عالي موافقة تامة على ملاحظاتي وقال لي ان مجلس الوزراء

أقر بالأمس على كتابة مذكرة شديدة اللهجة، ويتولى وزير الخارجية ارسالها الى السفير التركي في بغداد يحتج فيها على التواجد المستمر للعصاة من البارزانيين الذين لا يبعدون عن الحدود العراقية سوى بضعة أميال فقط.. هذا وقد تلقى السفير العراقي في أنقره تعليمات مماثلة لكي يقدمها الى وزير الخارجية التركي. سلمني وزير الخارجية العراقي نسخة من هذه المذكرة بصورة شخصية وارفقها بترجمة للنص. في نظري ان المذكرة كان يجب أن تشير الى معاهدة أنقره .

٤. أخبرني رئيس الوزراء انه لاحظ في الأشهر الأخيره تبدل في موقف الحكومة التركية أزاء العراق، ففي السابق كانت الحكومة التركية تبدي استعدادها للتعاون من اجل صيانة الأمن على الحدود، لكنها الآن تغمض عينيها على مايجري وتتملص من طلبات الحكومة العراقية الداعية الى القيام بعمل مشترك ضد العابثين بالسلام.

٥. عزى رئيس الوزراء العراقي هذا التغير الى الحسد النامي تجاه تقدم وتطور العراق السريع والخوف من الصعود الى مركز القوة في المستقبل والقيام بدور رئيسي او تبوء دور القيادة الكونفدرالية العربية وهذا بدوره قد يهدد حدود تركيا الجنوبية. وكتلميح إضافي لهذا الموقف فقد أشار الى التطور الملحوظ في العلاقات التجارية بين تركيا وفرنسا فيما يخص سوريا. وقد عبر رئيس الوزراء عن إقتناعه التام من ان ذلك كله مبني على أساس التفاهم المتبادل في عدم تشجيع أية حركة تسير في إتجاه الوحدة بين سوريا والعراق.

٦. العلاقات العراقية التركية منذ إتفاقية أنقره هي علاقات حسنة جداً ، لذلك اميل الى الظن بأن رئيس الوزراء مغال في شكوكه، لكن الحكومة التركية كجارة صديقة قد أخفقت بكل تأكيد في تنفيذ التزاماتها فيما يخص البارزانيين الهاربين .

٧. أرسل نسخة من هذه المذكرة الى سفير جلالته في استنبول

F. H. Humphrys

من وزير الخارجية العراقي الى وزير الخارجية التركي

لاشك انكم تتذكرون انني ناقشت مع فخامتكم في إجتماعنا يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ آذار موضوع البارزانيين الذين التجأوا في العام الماضي الى داخل أراضي الجمهورية التركية ، وكانت الحكومة العراقية قد طلبت تسليم الهاربين،

لكن الحكومة التركية رفضت تسليم هؤلاء بحجة كونهم لاجئين سياسيين، وان الحكومة التركية تتولى مسؤولية مراقبتهم ومنع عودتهم الى موطنهم دون موافقة الحكومة العراقية . وعندما تشرفت بلقاء رجال الدولة التركية في انقره عام ١٩٣٠ و عام ١٩٣١ ، قد يتذكر فخامتكم انني اطلعتكم على مدار بيبي وبينهم من مباحثات. وعندما عبر بعض وزراء الجمهورية التركية عن شكوكهم فيما يتعلق ببعض النشاطات المعينة والتي من شأنها تنشيط الحركة الكردية على طول حدود الدولتين (هنا يعني الوزير العراقي ثورة آارات وعلاقة بارزان بها) أوضحت للوزراء المعنيين بهذه المناسبة بأن موقف الحكومة العراقية لعودة عنه ويتطابق تماماً مع موقف الجمهورية التركية، هذا الموقف يمنع نشوء أية بادرة لأية حركة كردية تهدد السلام والأمن في المناطق الحدودية. ومن ضمن المقترحات التي قدمت كان هناك مقترح يفضي الى قيام الحكومة العراقية بعمليات عسكرية لقمع جميع النشاطات غير القانونية والتي كانت بارزان مركزاً لها، وحيث استخدمها بعض الأكراد من مواطني الجمهورية التركية نقطة انطلاق لعملياتهم الخطرة على الأمن والسلام. لقد نفذت الحكومة العراقية جميع تعهداتها التي اعطتها للجمهورية التركية، وقامت الحكومة العراقية بشن عمليات عسكرية كان من نتائجها تقليص نفوذ العناصر الخارجة عن القانون وأسست إداره مدنية متحضرة في المنطقة التي كانت تسودها الفوضى، وبعد ان قدمنا مالا يحصى من الضحايا في الأرواح والأموال نجحنا أخيراً وبشكل تام في توطيد الأمن في ربوع المنطقة المعنية وهرب شيخ بارزان مع مجموعة صغيرة من أنصاره طالباً اللجوء من سلطات الجمهورية التركية.

وفي الوقت الذي كانت الحكومة العراقية تأمل في توطيد السلام في هذه المقاطعات وعودة الهدوء الى نفوس محبي السلام من السكان على جانبي الحدود، بدأ البارزانيون الهاربون من وجه العدالة الى المناطق التركية المجاورة، بدأوا يجوبون مناطق الحدود العراقية جامعين حولهم رجال عصابات وعناصر خارجة عن القانون وبهذا أصبحوا يشكلون خطراً على أمن الحدود وقاموا بارتكاب أعمال منافية للقانون مما لا ينسجم مع ما اتفقت عليه الدولتان، وعندما أصبحت الأوضاع صعبة لا تطاق، طلبت هذه الوزارة من فخامتكم ، بالأخص في رسالتها الأخيره رقم ٢٣٩٨ والمؤرخة في ٢٣ آذار ١٩٣٣ بالتدخل لدى حكومة الجمهورية التركية الموقره، لاتخاذ إجراءات اساسية مشددة وعاجلة لوضع نهاية للأعمال اللاقانونية المتواصلة على الحدود، هذه الإجراءات تشمل التوقيف ونزع السلاح عن قطاع الطرق الرئيسيين وقد أشارت مذكرة الوزارة

المقاومة الكردية

بوضوح الى أسماء هؤلاء، وأيضاً إزاحتهم من مناطق الحدود بحيث لا يشكلون مصدر قلق للعراق .

اطلعنا على رد الحكومة التركية من خلال رسالة فخامتكم رقم ٨٤ والمؤرخه في ٢ آذار ١٩٣٣ وتتضمن:

١ . صدرت الأوامر بإبعاد الشيخ صديق ، شقيق الشيخ أحمد البارزاني الى مكان بعيد عن الحدود.

٢ . إتخذت الإجراءات الضرورية فيما يخص مناطق الحدود وهذه الخطوات توحى بالاطمئنان التام .

اود في كل الأحوال ان أشير الى أن جواب فخامتكم الذي ورد ذكره في السطور السابقه لايلبي مطلب الحكومة العراقية والذي يتناول الموضوع بشكل دقيق في الفقره ١ و ٢ من رسالة الوزارة المرقمة ٢٣٩٨ حيث تعتبر حكومتي ان الإجراءات المطلوبة هي جوهرية لإقامة السلام في المناطق الحدودية للدولتين.

إنني متأكد ياسيادة الوزير من أن إستمرار هذه العصابات المتمردة في تعكير صفو السلام والأمن سيؤدي الى إحداث المزيد من الضرر بمصالح الجانبين . وبما ان الحكومة العراقية ليست مستعدة لتحمل مسؤولية التطورات في المستقبل وما سينجم عن هذه الاعمال الالاقانونية واحتمال تحويلها الى حركة تحمل صبغة قومية (حركة ذات بعد قومي كردي) لذا ألتمس من فخامتكم التلطف في جلب إهتمام الحكومة المركزية الى هذه النقطة الهامة، أمل ان اتلقى من فخامتكم جواباً سريعاً ومرضياً وانكم سوف تتخذون إجراءات مشددة لمعالجة هذه المشكلة. (١٩)

التوقيع

وزير الخارجية العراقي

تفاهم الضغوط

المقاومة الكردية

تفاهم الضغوط

أطلّ شهر نيسان من عام ١٩٣٣ دون ظهور بادره تتم عن نية البارزانيين الاستسلام. وكان إهتمام الحكومة العراقية مركزاً على رصد أخبار البارزانيين وتشير أرشيفات الحكومة البريطانية الى الوضع الداخلي للبارزانيين: «تدل الشائعات على ان محمد صديق يرغب في التفاهم، لكنه يخشى نتائج الاستسلام عليه، وقد أرسل كلمة شفوية يطلب فيها ضماناً من الحكومة البريطانية في الحفاظ على حياته عند إستسلامه الى السلطات العراقية. (.....) إلتحقت حديثاً جماعة مؤلفة من عشرين شخصاً من اهالي قرية (سيلكى). قرية في مزوري بالا بمحمد صديق في (كرانه). قريه تعود الى قبيلة الكردي في كردستان تحت الهيمنة التركيّه. وعلمنا ان محمد صديق أمرهم بالعودة الى قريتهم معللاً انه ليس من الممكن توفير الطعام اللازم لهم وإن وجودهم في كرانه قد يكون له مردود سلبي على إتصالاته الجارية مع الحكومة العراقية. ويشاع ان ملا مصطفى هو من أشد المتصلبين ويشكل العقبة الرئيسية في طريق السلام. يبدو ان الاختلاف في وجهات النظر بين الأخوين يعود الى عدم إتفاقهما فيما يجب إتخاذه من خطوات في المستقبل. فمحمد صديق يميل الى الاستسلام بينما ملا مصطفى يحبذ بذل مساع اخرى لإعادة إقامة النظام البارزاني بقوة السلاح. حاول محمد صديق الاتصال بالشيخ أحمد الذي كان لا يزال بعيداً في المنفى التركي لكن دون نجاح و من المحتمل ان يكون محمد صديق قلقاً بسبب عدم تمكنه من أخذ رأي شقيقه بشأن مايجب عمله في المستقبل.» (١)

«حسب الشائعات يتزود البارزانيون بالحبوب والشاي والسكر، من مصادر مختلفة من مناطق مزوري بالا و ميركه سور.» (٢)

أن وجود شيخ بارزان بين أيدي الترك ووجود أعداد كبيرة من العوائل والأطفال في قرى متاخمة للحدود وخارج أية سلطة حكومية لم يستمر طويلاً، إذ كانت المساعي المشتركة للبريطانيين وحكومة بغداد نشطة في إنهاء تلك الحالة، وبإقتراب فصل الربيع من نهايته أقدمت الحكومة التركية على خطوات عملية تجاوباً مع مطالب الحكومة العراقية. وتشير أرشيفات الحكومة البريطانية بهذا الصدد الى مايلي: «أفادت الأنباء ان السلطات المحلية التركية قد عرضت على محمد صديق وملا مصطفى محاصيل قرى منطقة كردي

كمساعدات لهم ودعتهم الى المجيء الى (نيرى) لبحث موقفهم، لكن الزعماء البارزانيون المتشككون في نوايا الترك رفضوا الذهاب الى هناك. (.....) ومن المعلوم انه اتخذت إجراءات لإرسال قوة عسكرية ضد محمد صديق وملا مصطفى حال ان يسمح الطقس باجراء العمليات.» (٣)

إن تحشد معظم القوة البارزانية في محاذاة الحدود كان بسبب فقدان الثقة بالسلطات التركية، إذ كانوا يخشون من القبض عليهم ونفيهم الى مجاهل الاناضول، لذا بقيت هذه القوة تراوح في مكانها تراقب التطورات من جانب البريطانيين والحكومة العراقية وكانت تقوم ببعض عمليات حرب العصابات ضد قوات الاحتلال في منطقته بارزان لارغامها على التفاوض. كانت هذه فترة قلق كبيرة إذ كان هؤلاء يعيشون في مناطق لاتصل اليها سلطة أنقره ولاسلطة بغداد، لكن لم يكن ممكناً الإستمرار في تلك الحالة الى مالانهاية.

وفي ١٨ نيسان سأل الملك فيصل المندوب السامي البريطاني ف . همفري عن أكثر الوسائل فعالية للحصول على تعاون الأتراك مع حكومته لمعالجة مسألة البارزانيين، فكان جواب المندوب السامي هو ان يكتب الملك رسالة شخصية الى مصطفى كمال باشا ووعدته الملك ان يقوم بذلك. (٤)

بعد المقابلة مع ملك العراق فيصل، بادر المندوب السامي البريطاني ف . همفري إلى الكتابة إلى لندن في نفس اليوم يعبر فيها عن مخاوفه من تأزم الوضع من جديد في كردستان.

«سري» بغداد . ١٨ مايس ١٩٣٣

من السير ف . همفري الى السير جون سيمون

سيدي ،

إشارة لمذكرتي رقم ٢٢٠ والمؤرخة في ٦ ابريل/ نيسان الماضي ، لي الشرف أن أحيطكم بمعلومات إضافية عن الوضع في منطقة بارزان .

٢ . خلال شهر نيسان/ابريل كان محمد صديق وملا مصطفى وأنصارهم لايزالون يعيشون في القرى التركية القريبة من الحدود العراقية الى جنوب سهل كوفندي ، وبين حين وآخر كانوا يرسلون مزارزهم عبر الحدود للإغارة على القرى للحصول على الطعام والمؤونة، وتفيد الأخبار التي وصلتنا في وقت مبكر من هذا الشهر بوصول قوة تركية مؤلفة من مائة مسلح، لكنها لم تتخذ أية إجراءات ضد البارزانيين.

٣ . في وادي سيل الواقع الى اقصى الجنوب الشرقي من (جياي شيريني) كانت دورية شرطة تتقدم في الوادي في ١١ مايس/مايو وأصطدمت بقوة

بارزانية مؤلفة من ٥٠ مسلحاً وجرح اثنان الصدام اثنان من افراد الشرطة وقتل رسول مسلح. ارسلت تعزيزات من قوات البوليس من شيروان الى (كه لى سيل) Geli Suli لكن هذه التعزيزات جابهت مقاومة من قوة بارزانية أخرى تحت إمرة ملا مصطفى وكانت الخسارة هي مقتل أحد ضباط الشرطة واثنين من رجاله، ثم ارسلت قوات اخرى من بارزان وقد وصلت لنجدة القوة المشتبكة في (كه لى سيل) فأضطر البارزانيون الى الانسحاب باتجاه جبل شيرين .

٤ . واضح من التقارير التي وصلت بغداد ان ملا مصطفى ومحمد صديق وبرفقتهم عدد من الزعماء الآخرين ، قد عبروا الحدود الى داخل العراق مع قوة مسلحة هامة ، يتراوح عددها بين ٣٠ الى ٣٠٠ مسلح .

٥ . يبدو انهم يثبتون انفسهم في معاقلهم الجبلية القديمة في جبل شيرين وأخشى أن يتعقد الوضع بحيث يصعب إزاحتهم .

٦ . إرتأت الحكومة العراقية في الوقت الحاضر مواجهة الأمر بقوات البوليس، لكن قوات من المشاة ارسلت من ميركه سور وشيروان مازن لاحتلال مواقع بغية تفرغ قوات البوليس لملاحقة المتمردين بشكل فعّال، كما هرعت قوات اخرى من الشرطة الى المنطقة المضطربة وصدرت أوامر للسلاح الجوي العراقي بأن يتأهب للقيام بواجبات الاستطلاع وان يتعاون مع قوات البوليس حالما تبدأ الأخيرة بالعمليات.

٧ . أخبرني نوري باشا (نوري السعيد) انه أبرق الى السفير العراقي في أنقره يأمره بأن يذكر الحكومة التركية بنود المعاهدة وان يضغط عليها لكي تبدي مزيداً من التعاون الفعلي لغلق الحدود بوجه رجال القبائل المتمردين .

٨ . الجنرال راون روبنسون General Rown Robinson إستطلع وضع القوات العراقية على الحدود الشمالية وعبر عن رأي ينم عن عدم كفاءة القوات العراقية كما ان قوات البوليس لم تدرب لخوض حرب جبلية منظمة ضد قبيلة معادية قوية. وعلمت ان قوة بوليس خاصة ستجنّد من بين الأكراد لإستخدامها في المستقبل في المخافر البعيدة.

٩ . سألني الملك فيصل هذا الصباح عن رأيي في وسيلة مؤثرة على الأتراك لجرهم الى التعاون معنا لمعالجة قضية المتمردين، وكان إقتراحي هو ان يكتب جلالته رسالة شخصية الى مصطفى كمال يشير فيها بإيجاز عن تأريخ العمليات التي جرت ضد شيخ بارزان وأنصاره ، وان يذكر في رسالته انه قبل عامين عندما كان في زيارة الى أنقره، قدم له مصطفى كمال طلباً خاصاً لإتخاذ إجراءات فعالة ضد شيخ أحمد البارزاني (إشارة الى تعاون بارزان مع ثورة

آراء) وكانت فعاليات شيخ بارزان مصدر الكثير من القلق للجمهورية التركية. شعر جلالته بإطمئنان تام وان كل مايجب عمله هو ان ينقل الى الغازي (مصطفى كمال) صورة عن الأوضاع القائمة بغية ضمان تعاونه القلبي لوضع البصمات الأخيرة على العمل الرائع الذي انجز في الصيف الماضي. وقد وعد الملك ان يكتب كما إقترحت عليه، وأشار الى انه سيوعز الى أخيه السفير العراقي في أنقره تسليم الرسالة بصورة شخصية .

١٠. ارسل نسخة من التقرير الى سفير جلالته في استنبول. (٥)

F. H . Humphry

الرسالة تكشف حرص المندوب السامي على إعطاء أفضل ما لديه من نصائح إستعمارية لاختضاع الشعب الكردي وإهمال كل حق له، كما إنها تكشف عن طبيعة التعاون الثلاثي البريطاني العراقي التركي في إحكام السيطرة على كردستان .

وفيما يتعلق بالبارزانيين ، يبدو ان عدّة عوامل حالت دون الاستمرار في حرب العصابات داخل منطقة بارزان ، منها :

١ - وصول قوات تركية الى مناطق الحدود لاجراء عمليات مشتركة مع القوات العراقية ضد القوات الكردية .

٢ - مارست تركيا الضغوط على شيخ بارزان لدفع انصاره نحو التفاهم مع الحكومة العراقية .

٣ - الأوضاع الإقتصادية الصعبة للعوائل على الحدود .

٤ - وجود أعداد هائلة من قوات الاحتلال في مناطق بارزان .

٥ - قلة العتاد العسكري وإنعدام مصادر تعوضه .

٦ - تعاون بعض من رؤساء العشائر مع سلطات الاحتلال كمرتزقة .

٧ - عدم ظهور عمليات مقاومة في أنحاء اخرى من كردستان الملحقة بالعراق، لتخفيف الضغط العسكري على أراضي بارزان .

٨ - العبء الذي شكلته مجموعات كبيرة من النساء والاطفال في متاهات الجبال وصعوبة حمايتهم وتغذيتهم .

ورغم العوامل السلبية فقد إستمرت المصادمات حتى شهر حزيران من عام ١٩٣٣ كما تدل على ذلك البرقية السريّة التالية:

«سري»

٦ حزيران ١٩٣٣

من اوكليفي فوربس Ogilvie Forbes الى السير جون سيمون Sir

John Simon

سيدي

إشارة الى مذكرة السير ف . همفري رقم ٣٠٧ والمؤرخة في ١٨ مايس/ مايو لي شرف اعلامكم بأن الاضطرابات لاتزال مستمرة في منطقة بارزان وتشن بين حين وآخر الهجمات على قوات البوليس العراقي التي لاتتمتع بالمعنويات العالية .

٢. حسب إعتقاد الجنرال راون روبنسن ان عدد القوات تحت إمرة ملا مصطفى و ولي بك تتراوح بين ٢٠٠ و ٦٠٠ مسلح ، وهذا يعتمد على حجم الانجازات التي يحققونها. رغم تأخر الوقت كثيراً فإن الجنرال راون روبنسن نجح في الحصول على موافقة وزارة الدفاع العراقية للمضي قدماً في مخططه للقضاء على هذه الاضطرابات. ستتشكل حسب المخطط الراهن قوة باسم سورباز مؤلفة من ثلاث بتاليونات، البتاليون الرابع والخامس والسادس، ومزودة بأسلحة رشاشه ومجموعات اللاسلكي اضافة الى (السرب رقم واحد) من طائرات السلاح الجوي العراقي للقيام بمهام الاستطلاع والقصف. سيكون المقر الرئيسي لهذه القوة في ديانا، وحسب الخطة المقررة سيقوم كل فصيل رشاش بعد إحتلال المواقع المهمة باقامة شبكات متصلة تشمل مختلف مخافر البوليس وتقوم هذه القوة بعملية كماشة فتقترب من بعضها البعض حتى تغلق المنافذ أمام المتمردين، إضافة الى دعم السلاح الجوي العراقي فان هذه الحاميات ستتمكن من قتال المتمردين أينما وجدوا، ويعتبر الجنرال راون روبنسن ان التأهب التام من جانب الحكومة العراقية للعمل أمر في غاية الأهمية والأقْد يؤدي العكس الى نجاح المتمردين في توسيع التمرد بحيث يشمل جميع شمال شرق المنطقة، خاصة اذا ما اخذنا في الإعتبار القابليات القتالية الضعيفة لقوات البوليس .

٣. تنطبق الخريطة الدولية (١٠٠٠٠٠٠ : ١) على المنطقة التي تأثرت بالفوضى وبشكل تقريبي وهي المنطقة القريبة من الحدود التركية وتشمل جبل يهودى Yahudi Chia وروبارى زى Ru-bar -i- Zai وروبارى برازكين Ru-bar -i- Barasgin وصلت احدى البتاليونات ميركه سور والثانية تحركت من ديانا باتجاه نفس المنطقة والثالثة موجودة في بلى قرب الزيبار .

٤. أرسلت نسخة من هذه البرقية الى سفير جلالته في استنبول . (٦)

G . Ogilvie Forbes

من عادة الإستعمار الغربي في مسعاه لاحتلال أراضي الشعوب الاخرى ونهب ثرواتها، ان يصف كل من يقاوم خططه ويدافع عن نفسه بـ (إرهابي) و (متمرد) و (خارج على القانون) و (عصاة) و (نهايين) والغريب ان حكومات بغداد التي تربت في احضان البريطانيين إستخدمت نفس هذه النعوت لالصاقها بالمقاومة الكردية .
قامت قوة سورباز بمهامها في المنطقة الثائرة، ويشير أحد الأرشيفات الى مايلي :

«سري . بغداد ٣١ حزيران ١٩٣٣

من اوكليفي فوريس الى السير جون سيمون

سيدي

إشارة الى برقيتي رقم ٣٢٦ والمؤرخة في ٢٤ مايس، لي الشرف ان احيطكم علماً أنه خلال الاسبوع المنصرم إستمر زحف قوة (سورباز) على منطقة الاضطرابات، واعلمني المفتش العام للبوليس ان المتمردين الكرد إنسحبوا مؤقتاً الى داخل الحدود التركية في سهل كوفندي، وعلى أثر هذه الحملة العراقية التأديبية فقد بقيت سرية في شيروان مازن وفصيل في قرية ريزان وبتاليون ناقص سرية في بلي ، وبعد ذلك عادت القوة الى ديانا وهي تترقب تطورات أخرى في الوضع .

٢. أرسلت نسخة من البرقية الى سفير جلالته في استنبول . (٨)

G . Ogilvie Forbes

في هذا الوقت كان يجري حوار بين البارزانيين وصبحي بگ ، مدير البوليس العام في شيروان مازن كما تشير الى ذلك البرقيه التالية :

سري . بغداد ١٥ حزيران ١٩٣٣

من اوكليفي فوريس الى السير جون سيمون

سيدي

إشارة الى برقيتي رقم ٣٤٢ والمؤرخة في ٣١ / ٥ / ١٩٣٣ لي شرف اعلامكم انه

تفاهم الضغوط

في بداية شهر حزيران أُلقت الطائرات بالمناشير على البارزانيين المتمردين وفيها تعلن الحكومة العراقية العفو عن جميع البارزانيين الذين يقدمون انفسهم بصفة شخصية الى السلطات المحلية ويعودوا بهدوء الى منازلهم خلال عشرة ايام واشترط العفو ان يقيم الزعماء البارزانيين خارج أراضي بارزان .

٢ . تلقيت هذا الصباح تقريراً من نائب القنصل في ديانا يذكر فيها ان أخوى شيخ بارزان محمد صديق وملا مصطفى مع أحمد نادر وولي بك يرافقهم ١٠٠ مسلح قد إستسلموا الى مركز البوليس في شيروان مازن، ومن المحتمل ان يكون هذا التطور نتيجة التجاوب مع بنود العفو. ويذكر انه في نية وزارة الداخلية تزويد المزارعين البارزانيين الموالين بمساعدة مالية قدرها ٣٠٠٠ دينار عراقي وفتح عدد من المستشفيات المجانية في عدد من الاماكن.

٣ . من المؤمل الآن ان تشهد المنطقة نهاية للاضطرابات. (٩)

G . Ogilvie Forbes

بعد مضي ثلاثة عشر يوماً عاد G . Ogilvie Forbes ليصحح ماورد في برقيته السابقة، فأبرق الى السير جون سيمون:

«سري . بغداد ٢٨ حزيران ١٩٣٣
من اوكلشي فوربس الى السير جون سيمون
سيدي

ان فقره الثانيه من التقرير رقم ٣٨٤ والمؤرخه في ١٦ / ٦ / ١٩٣٣ والمتعلقه بالهدوء في منطقة بارزان تبدو مغالية في التفاصيل.

٢ . أعلمتني وزارة الداخلية بعد وصول البرقية في ١٥ / ٦ / ١٩٣٣ من مدير البوليس العام في شيروان مازن ، أن هناك تقارير أخرى تشير الى ان المتمردين لم يجردوا من السلاح، انما رفضوا الاستسلام .

٣ . لقد اتضح الآن ان الشيوخ المشار اليهم في برقيتي وبرفقة مائة مسلح من أنصارهم كانوا ضيوفاً لدى صبحي بك، مدير الشرطة العام، وقد أجروا محادثات في أطراف شيروان مازن . وفسرت وزارة الداخلية ذلك كإستسلام نهائي، لكن البرقية اللاحقة أوضحت أن سخاء صبحي بك تضمن إرسال الطعام الى المتمردين وان المحادثات كانت جارية بين الطرفين لمعرفة الشروط التي يريد المتمردون الاتفاق عليها.

٤ . الاتفاق الذي توصل إليه أخيراً هو ان زعماء التمرد، عدى شيخ بارزان

حيث تعالج قضيته على حده أقسموا مع أنصارهم قسم الولاء لملك العراق وثم سمح لهم بالعودة الى قراهم مع الاحتفاظ بسلاحهم .
٥ . واضح انه عفي عن المتمردين بسهولة، والاعتبارات التي تبدو وراء هذا الاتفاق هي:

- أ . الجوع الذي خيم نتيجة سيطرة البوليس على التموينات.
- ب . وصول رسالة من شيخ بارزان من أسكي شهر ينصح أتباعه بقبول الاستسلام (من المحتمل ان يكون هذا نتيجة الضغوط التركية).
- ت . توقع تقدم فوج تركي الى بيروخ .
- ٦ . وفيما يتعلق بالجانب العراقي فيبدو أنهم سعداء جداً لوقف حرب الأنصار الجبلية، خاصة ان قواتهم العسكرية وقوات البوليس هي من ذلك النوع الذي يفضل التقهقر على التقدم نحو نيران البنادق. وايضاً تفضل الحكومة العراقية بسبب الأزمة الأتورية الراهنة سحب قواتها أكثر نحو الداخل.
- ٧ . لا يزال وضع شيخ بارزان غير واضح، وفيما يخص عودته من تركيا الى العراق فذلك ايضاً غير واضح.

٨ . نسخة من البرقية الى سفير جلالته في استنبول،» (١٠)

G . Ogilvie - Forbes

بعد التفاهم في شيروان مازن بوقت قصير، أعادت الحكومة التركية شيخ بارزان وسلمته الى السلطات العراقية بشرط الابقاء على حياته وقد إعتقلته السلطات العراقية في الموصل.
لا بد ان عبارات الاستياء التي وردت في البرقية السالفة قد استرعت انتباه القارئ فبريطانيا كدولة امبريالية كان هدفها ديمومة تسلطها، ولم تكن راضية عن التفاهم الذي حصل في شيروان مازن بين الحكومة العراقية والبارزانيين. فعبارة (عفي عن المتمردين بسهولة) الواردة في البرقية، تشير الى رغبة سلطات الاحتلال البريطانية في إستخدام العنف ضد البارزانيين، وكأن ما حصل من دمار وقتل وهجرة لم يكن كافياً. والعبارات التي تشير الى الجيش العراقي وتصفه بـ (يفضل التقهقر على التقدم نحو نيران البنادق) تعكس استياء البريطانيين فقد كان من صلب سياساتهم ديمومة العداء بين الشعوب ليتسنى لهم تحكيم قبضتهم على الاوطان المستعمرة.

كان من بين مناصري بارزان الذين التجأوا الى تركيا إثني عشر من أهالي عقره، ضمنهم مصطفى عبدالله وملا عقراوي وشريف عقراوي. وعندما سلّموا

تفاقم الضغوط

أنفسهم مع البارزانيين في شيروان، رحبت بهم الحكومة ونقلتهم الى بلي، وهناك بدأت تتغير معاملة الحكومة لهم. فقامت قوات الشرطة بجمعهم وإرغامهم على إزاحة العمامة الحمراء وصب الزيت عليها وحرقتها وأصبح إرتداء العمامة الحمراء ممنوعاً. وتعرضوا إلى السجن والمنفى عقاباً لمناصرتهم بارزان.

إن المقاومة التي أبداها أكراد بارزان تعتبر دفاعاً عن أرض الآباء والأجداد وحفظاً لنظام الطريقة الذي أقاموه هم أنفسهم وحيث في ظلّه شعر السكان بالأمان والمساواة والوحدة، وليس هناك مجال للمقارنة بين نظامهم والنظام البوليسي الفاسد الذي أقامته الحكومة العراقية والبريطانيون وفرضه بالقوة. وهذه المقاومة العنيدة تعكس رفض الخضوع لأي حكم اجنبي. أما من جانب السلطات العراقية والبريطانية فقد مثلت هذه العمليات العسكرية الواسعة الصفحة الأخيرة من عملية الاحتلال المشترك، لإكمال بسط نفوذ حكومات بغداد في هذه الاصقاع الشائرة من كردستان. وتم حذف الاسم التاريخي «كردستان» لكي يصبح «شمال العراق». والجدير بالذكر ان هذا الاحتلال بقي مؤقتاً ولم يدم كما سنرى.

المقاومة الكردية

حكم المخافر وفصائل المقاومة

المقاومة الكردية

حكم المخافر وفصائل المقاومة

إضافة الى الجهود العسكرية والديبلوماسية لإحكام القبضة على كردستان، قدمت الحكومة العراقية في شهر تموز/يوليو من عام ١٩٣٣ قائمة بأسماء الاشخاص المتعاطفين مع الحركة الوطنية الكردية الى وزارة الخارجية البريطانية طالبة منها الاعياز الى سفاراتها وقنصلياتها في البلدان التي لا توجد فيها سفارة او قنصلية عراقية برفض منح تأشيرة دخول الى الأشخاص المدرجة أسمائهم في القائمة. (١)

إرتأت الحكومة العراقية تحت ضغط الظروف إستخدام الدهاء السياسي بدل القوة، فاصبح بإمكان العوائل البارزانية العودة الى منازلها المهدمة في مناطق بارزان وقد عاد محمد صديق الى منتجع (تاتوك) وملا مصطفى الى (وارى ببانيا) وكلا المنتجعان يقعان في جبل شيرين المطل على عاصمة الطريقة بارزان. أما القائدان ولى بگ وأحمد نادر شيرواني فذهبا الى (ده رى كنيرى) وبعد حوالي الشهرين اعادت الحكومة العراقية شيخ بارزان عن طريق ميركه سور الى شيروان بصورة مؤقتة، واجتمع حشد شعبي كبير لاستقباله، ثم عاد الى بارزان، كانت هذه الاجراءات الحكومية تستهدف تخفيف عدم الثقة ومن ثم تنفيذ مخططها في إبعاد جميع الزعماء عن أراضي بارزان حال سnoch الفرصة. لم يمض سوى وقت قصير على جمع شمل البارزانيين حتى إستدعت الحكومة محمد صديق وملا مصطفى مع نخبة من القادة البارزانيين الى الموصل للتباحث، لكن الهدف توضح بعد وصولهم إذ منعوهم من العودة. ثم طلبت الحكومة من شيخ بارزان التوجه نحو الموصل، وبوصوله أبلغته الحكومة إستحالة عودته الى بارزان ووضع الجميع تحت الإقامة الجبرية، في حين ظلت عوائلهم في كردستان. سببت هذه الخديعة سخطاً شعبياً ضد الحكومة، إنعكس فيما بعد على مجرى الاحداث.

كانت مراكز البوليس مثل ميركه سور، شاندر، ريزان، بلى، بارزان، سيلكى، زيت، شيروان، خيرزوكا.... الخ، مليئة برجال البوليس المسلحين وكان المركز مطلق الصلاحية في التعامل مع السكان وعليهم ابداء الطاعة التامة لحكم ممقوت وان يقدموا أنفسهم لأداء الخدمة العسكرية.

من القادة الذين نجوا من منفى الحكومة العراقية (ولى بگ سعيد شيرواني)

المقاومة الكردية

و (أحمد نادر) وقد قضى القائدان فصلي الخريف والشتاء في قرية ريزان. وبقي القائد (خليل خوشقى) مختفياً في متاهات جبال المنطقة مع عدد قليل من الانصار، لكن احداً لم يبق بأية عملية ضد قوات الحكومة او مخافر البوليس.

ولمعرفة ما حصل خلال هذه الفترة التي شهدت فيها المنطقة احتلالاً تاماً - هو الإحتلال الثالث بعد إحتلالين تركيين في بداية القرن - نسرد مارواه لنا شاهد عيان، عاش الاحداث شخصياً هو (حسين خال ملا بابكه ي) ومسجلة على شريطين. هذه الاحداث تدور حول إستمرار المقاومة البارزانية ضد الإحتلال وفي غياب اي إشتراك فعلي من العائلة البارزانية القيادية والتي كانت تعيش في المنفى وتحت الإقامة الجبرية في جنوب العراق. قاد هذه المقاومة العنيدة عدد من القادة وكوادر الطريقة وممن كانوا حريصين على رفض قبول الظلم مهما كلف الثمن. وقد أصبح هؤلاء أبطالاً رفيعي القدر لدى جميع البارزانيين الى حدّ التقديس. قاد المقاومة خليل خوشقى وأحمد نادر اذ كان الاول مستثنى من العفو الحكومي والثاني مرتاباً في نوايا السلطات العراقية. يقول حسين خال ملا:

«جاء صيف عام ١٩٣٤، وكنا نخشى تحركات القوات الحكومية في المنطقة، لذا غادر ولى بك وأحمد نادر ريزان الى منتجع (كانيا كيريشكى) البعيد نوعاً ما عن مسالك مرور قوات البوليس والقوات العسكرية وذلك لتفادي الاحتكاك بهم. وفي نهاية الصيف عاد (ولى بك) الى ريزان في حين انفصل عنه (أحمد نادر) الذي اختار قرية (كانيا ديرى) وهي قرية حصينة متوارية في أخاديد الجبل المطل على وادي (كه لى سوران).

وبقي (خليل خوشقى) متوارياً في متاهات المنطقة وتفادى كل ما أمكن الالتقاء بدوريات الإحتلال التي كانت تجوب القرى لفرض هيبة الحكومة، ولم يتعرض لأية قوة حكومية وقضى ردهاً من الزمن على هذه الحالة.

في شهر شباط من عام ١٩٣٤، كان خليل خوشقى في قرية (بيانا) الواقعه شمال بارزان. ويظهر ان مخبرين اعلّموا الحكومة بمكان وجوده، فسأقت قوة من البوليس الى القرية لتطويقها بهدف قتله او أسره. فوجيء (خليل خوشقى) بالتطويق والانداز، فرفض الاستسلام ودافع عن نفسه وعلى أثر الاشتباك لقي اثنان من رجال البوليس مصرعهما وتمكن (خليل خوشقى) من الافلات.»

تشير أرشيفات الحكومة البريطانية الى الوضع في كردستان فتقول: «في

حكم المخافر

بداية عام ١٩٣٤ كان الوضع في شمال العراق يبعث على الرضى « (.....) » لايزال السلم الناجم عن عمليات عام ١٩٣٢ سائداً في منطقة بارزان. تلبد الجوّ قليلاً في شهر شباط عندما قتل خليل خوشقى إثنين من رجال البوليس في قرية (ببانا) الى الشمال من بارزان. خليل خوشقى هو زعيم قبيلة مزورى بالا المستثنى من العفو العام.»

رغم التدابير التي إتخذتها الحكومة العراقية فقد ازدادت نشاطات خليل خوشقى خلال العام، مستخدماً منطقة الكرديين الواقعة في كردستان تركيا كمقر له، ومن هناك وكما يريد كان يهاجم رجال البوليس وموظفي الحكومة ومختاري القرى .

وفي وقت مبكر من العام إستدعت الحكومة شيخ بارزان مع إخوته ملا مصطفى ومحمد صديق بهدف جرّهم الى التعاون مع الحكومة لالقاء القبض على خليل خوشقى، ورغم إعلانهم عن استعدادهم للتعاون الا انّ الشك كان يساور الحكومة في انهم في الواقع يشجعون خليل خوشقى ولهذا السبب نقلتهم الحكومة في شهر تشرين الثاني عام ١٩٣٤ من الموصل الى الناصرية.(٢) لم يكن ممكناً بالنسبة لعدد من البارزانيين تحمل حكم الاحتلال البوليسي للمنطقة، ففي وقت مبكر من صيف عام ١٩٣٤ قرر أحمد نادر الاختفاء مع عدد من الرجال المقربين اليه مثل (وس فق آره ب، ملا على ژاژوكى، أحمد حدويا، وحسين مينو) فغادروا منطقة بارزان مع عوائلهم نحو الحدود التركية. ويضيف حسين خال ملا: « كان هناك إتفاق مع شيخ بارزان على الاستمرار في شن حرب العصابات في المنطقه الى ان يلتحق بهم إما محمد صديق أو ملا مصطفى.»

كرد فعل للاحتلال تشكلت قوتان، الاولى بقيادة خليل خوشقى والثانية تحت قيادة أحمد نادر الشيرواني . ومع إزدياد النقمة الشعبية إزداد عدد الملتحقين بهذين القائدين.

وكما هي عادة سلطات الاحتلال فقد سعت الى تجنيد البعض من ذوي النفوس الضعيفة للقيام بأعمال التجسس على السكان مما ادى الى حصول أعمال الضرب والاهانة والتعذيب ضد السكان الابرياء بحجة إطعامهم رجال المقاومة. لهذا السبب اختارت القوة الكردية ضرب هذه الفئة المتعاونة مع الحكومة، وهم من مختاري بعض القرى اذ كان في غاية الاهمية بالنسبة للمقاومة الكردية محاربة أي شكل من أشكال التعاون مع الاداره المحتلة. ويمضي حسين خال ملا فيقول بهذا الصدد:

« كنا حوالي (٣٠) مقاتلاً تحت قيادة (أحمد نادر) و (سليم خوشفي) و (ملكو ژاژوكي) فأخترنا القضاء على (ملا عبدالله) الجاسوس الحكومي وقضينا عليه ، ثم اخترنا عدداً آخر من المتعاونين مع الحكومة العراقية من بينهم (قاضي بيران).»

وتشير أرشيفات الحكومة البريطانية الى الحادث المذكور :

«في ١١ ديسمبر ١٩٣٤ قام ملكو ژاژوكي ومعه أنصار خليل خوشفي بقتل مختار قرية (بنى بيا) وفي اليوم نفسه قتلوا ثلاثة من الجنود العرب بين ميركه سور وكانيا لنجا وبعدها هاجموا قرية ماويليا قرب قرية بنى بيا وقتلوا أحد أفراد القرية بينما جرح آخر . وبلغ عدد المختارين الذين قتلهم أنصار خليل خوشفي حتى اليوم خمسة، ويبدو انه مستمر في خطته في القضاء على مختاري القرى في منطقة بارزان، وهؤلاء من الذين عينتهم الحكومة العراقية أو انهم متعاونون معها بهدف كشف أماكن تواجد أنصار خليل خوشفي .» (٣) فيما يتعلق بعدد قوات المقاومة فقد بلغ حوالي الثمانين رجلاً بعد التجاء أحمد نادر الى الجبال.(٤)

أعربت السلطات التركية عن إستعدادها للتعاون مع القوات العراقية ضد المقاومة الكردية اذ ان جميع الاجراءات العسكرية التي اتخذتها حكومة بغداد لم تحقق نصراً، لا في القبض على خليل خوشفي ولا في تقليص عملياته. (٥) ولهذا كان تعاون تركيا موضع ترحيب الحكومة العراقية.

ما ان اشرف عام ١٩٣٤ حتى تفاقمت الخطورة في المنطقة ولم يعد من مفرّ الأ القيام بعمليات عسكرية واسعة حالما يسمح الطقس بذلك وان تلجأ الحكومة الى اتباع اسلوب الاسترضاء والرشوة.(٦)

رغم الاحتلال العسكري لمنطقة بارزان ونفي الاغلبية من الزعماء البارزانيين الى جنوب العراق، بقيت المنطقة في حالة غليان وقام البارزانيون باعادة تنظيم أنفسهم لشن عمليات حرب العصابات رغم الظروف السياسية والاقتصادية البالغة الصعوبة. فلم يكن قد تشكل بعد تنظيم سياسي كردي يتبنى هذه المقاومة ويقوم بالدعاية لها ويعبىء الرأي العام الكردي ورائها، لهذا لم يكن متوقفاً توسيع رقعة الثوره لتشمل أجزاء اخرى من كردستان.

كانت السلطات البريطانية والعراقية على دراية تامة بأن شعباً مستعبداً لابد ان يثور على الاستعباد ولا بد من ظهور قيادة بين صفوفه لتوجيه عملية النضال التحريرية. وينعكس هذا القلق بوضوح في برقية السير همفري الى السير جون سيمون، حيث يعبر عن قلقه من ان يحتل خليل خوشفي مركز

حكم المخافر

الزعيم القومي للشعب الكردي. وهذا نص البرقية:

«سري . بغداد . ٩ كانون الثاني ١٩٣٥ .

من السير F . Humphrys الى السير John Simon

سيدي .

اشارة الى برقيتي رقم ٦٢٩ المؤرخة في ٢٩ تشرين الاول/اكتوبر الاخير، لي شرف اعلامكم بأن خليل خوشفي وانصاره مستمرون في ارتكاب اعمال وحشية في منطقة بارزان.

٢ . خلال شهر نوفمبر وبداية شهر ديسمبر انطلقت القوة من الاراضي التركية فقتلت خمسة من المختارين وهاجمت عدداً من القرى مما ادى الى اصابة السكان ببعض الاضرار .

٣ . تفيد التقارير ان عصابته مؤلفة من ٧٠ الى ٨٠ مقاتلاً وهم مسلحون تسليحاً جيداً ، كلهم يتمتعون بنفس المزايا السيئة ويعرفون معرفة صميمية تضاريس المنطقة الشديدة الوعورة حيث تنشط فيها عملياتهم. يظهر ان قاعدتهم الرئيسية تقع في ضواحي بيروخ وهي قرية تقع في واد صغير داخل الحدود التركية، الى الجنوب من هضبة كوفندي .

٤ . زار حديثاً قائد البوليس في الموصل المدير التركي، والأخير مسؤول عن المقاطعة التي تقع ضمنها بيروخ، وكانت مساعيه تهدف الى ضمان تعاون القوات التركية لمواجهة خليل خوشفي. ولم تثمر هذه المهمة لأن المدير التركي أعلن عجزه عن القيام بأي عمل ضد خوشفي لأن الاخير يتلقى تأييداً من قبيلة كه ردي القوية .

٥ . بعد الاجتماع الذي عقد في أربيل في وسط شهر ديسمبر/كانون الثاني والذي حضره كل من مدير الشرطة العام وعدد من المتصرفين وقادة البوليس من الموصل واربييل، تقرر إعادة النظر في الاجراءات التي اتخذت بشأن مكافحة خليل خوشفي، وارسلت تعزيزات اخرى من راوندوز الى اربيل.

٦ . هذه الاجراءات الجديدة كما يبدو لم تعط ثماراً، اذ أشار نائب قنصل جلالته في تقاريره من ديانا ان خليل خوشفي هاجم في ٢٠ ديسمبر/ كانون الثاني ١٩٣٤ مع بعض أفراد عصابته مجموعة من العمال العائدين الى دائرة الاشغال العامة التي كانت تعمل في طريق ميركه سور قرب شيتانا، على بعد ٨ أميال فقط عن القنصلية في ديانا ويمثل هذا الخط الحد الأقصى جنوباً الذي تمكن خليل خوشفي من الوصول اليه.

٧. وحتى هذا اليوم لم يتبوأ خليل خوشفي دور الزعيم القومي الكردي، ولا يتعدى ان يكون انساناً يعمل لمصلحته الشخصية، ولكن رغم هذا، فان أعمال قطع الطرق اللانسانية وبالجم الذي تنشط فيه عصابته حالياً، هي تهديد جدي للسلم في الشمال الشرقي للمناطق الكردية. واثناء لقائي القادم مع الملك سأعرض عليه القضية لكي يوليها اهتماماً خاصاً .

٨. أبعث نسخة من البرقيه الى سفراء جلالته في أنقره وطهران.»

F. H. Humphrys.

كان من المفروض ان ينضم (ولي بگ) الى المقاومة، لكنه في النهاية غير رأيه بسبب عملية قتل مختاري القرى دون إستشارته خلافاً لما كان متفقاً عليه. والواقع كان لعدم إنضمام (ولي بگ) للمقاومة أثراً كبيراً في عدم تنامي عدد الملتحقين بالمقاومة. فقد كان شخصية ذات نفوذ كبير في المنطقة.

بقي ولي بگ في قرية ريزان، وكانت السلطات العراقية على إتصال به، وتتوي من خلاله التأثير على مجرى المقاومة. وكانت تسعى الى إستخدامه في خطة إقناع رجال المقاومة بإنهاء القتال.

حصلت حادثة ذات مدلول، تتم عن رفض القيم البارزانية لكل مايمس سلوك الاغوات. فقد أوصى أحمد نادر حسين خال ملا، ان يلتقي بولي بگ. وان يراقبه بدقة متناهية، كيف يجلس ؟ وكيف يتكلم ؟ وكيف يدخن سيكارتته ؟ وهل من جراء الاختلاط بالشرطة العراقية تغيرت عاداته وسلوكه. وفعلاً التقى حسين خال ملا ليلاً وبسرية مع رفاق له في مقبرة (بيرسال) بولي بگ. وكان مأخذه على ولي بگ، ان الاخير عندما كانت النار مشتعلة امامه، لم يشعل سيكارتته بجمرات النار، انما اخرج علبة الشخاط واشعل سيكارتته بنارها، واعتبر هذا من سلوك الاغوات. لم يقبل ولي بگ الانضمام الى الثوار، ونصحهم بالعودة وتسليم انفسهم الى السلطات الحكومية وانه سيضمن سلامتهم، وقال ولي بگ: من الافضل ان يعود الجميع عدى خليل خوشفي وصالح عزيز. ويذكر حسين خال ملال حول هذا اللقاء السري فيقول: « لم يقتنع أحد أثناء الاجتماع بأقوال ولي بگ، ولكن بعد إنتهاء هذا اللقاء بأيام، إستسلم القائد ملكوژاؤوكي الى السلطات العراقية، في حين رفضت مجموعته المسلحة ذلك، فالتحق بعضهم بخليل خوشفي في (كه ليت) وانضم عدد آخر الى القائد أحمد نادر في سه ري سلو.»

حكم المخافر

إقتنعت الحكومة العراقية بصعوبة القضاء على هذه المقاومة الكردية والتي تتمتع بميزة الكرّ والفرّ ويصعب رصدها، لذلك وبإيعاز من الخبراء البريطانيين ان قامت بجرّ الأغوات من المناطق المجاورة ومنحهم بعض الامتيازات لكي يقوموا بما عجزت عنه قوات الحكومة النظامية. وتشير الارشيفات البريطانية بهذا الصدد :

«.....ان قرار تجنيد عدد من العشائر كقوات بوليس غير نظامية تعتبر الخطوة الاولى في اتجاه إعادة النفوذ الى الأغوات فيضعهم في موقع يستطيعون فرض أنفسهم على الحكومة. ولاشك ان إحراج الحكومة شيء مرغوب ليس فقط لدى شيخ بارزان وانما لدى عدد من الزعماء الكرد. وطبيعي ان الأغوات الكرد يعادون الحكم العربي، اذ ان اي توسيع للإدارة الحكومية يؤدي الى تقليص نفوذ هؤلاء الأغوات، ولذا فان اعتراف الحكومة بعجزها عن السيطرة على المنطقة دون تعاون رجال الأغوات المسلحين، سيكون موضع ترحيب الأغوات كما سيكون له صدى كبير في اماكن اخرى من كردستان» (٨)

تزامنت الاجراءات الداخلية العسكرية للحكومة بتحريك دبلوماسي باتجاه أنقره، وفعلاً في شهر آذار/ مارس ١٩٣٥ وصلت قوة تركية الى الحدود بالقرب من بيروخ والقت القبض على جميع زعماء الكرديين كما أرغمت فصائل المقاومة الكردية على العبور الى جنوب الخط الحدودي، وهناك كانت القوات العراقية متأهبة للتصدي لهم، وحسب قول السير Archibald Clark Kerr فان قوات البوليس المحتشدة في المنطقة البارزانية كافية لمواجهة خليل خوشفي، شريطة ان لا تقلل الحكومة العراقية من عدد قواتها بسبب المصاعب التي نشأت في منطقة الفرات. (٩)

لقد نجم عن الحصار العسكري والاقتصادي التركي - العراقي مصاعب لم يكن في قدرة الفصائل الكردية تذليلها، وبتقادم الزمن تضاعفت أزمة الطعام والمؤونة، وبهذا الصدد يذكر حسين خال ملا ما يلي:

« كنا في حالة حل وترحال متواصل، وكان الجوع يقرص أحشائنا، حاولت احدى مفارزنا الذهاب الى أوساط السورجيين للتزود بالطعام، لكن الخيبة كانت كبيرة، اذ لم نتمكن من اقناع الاهالي بتزويدنا بالطعام حتى ولو بصورة شخصية، ناهيك عن طلب الغذاء لعوائلنا واطفاننا. واثناء العودة هاجمنا بعض المرتزقة من اغوات الزيبار وافلتنا بصعوبة، اذ يصعب القتال مع الجوع، ووصلنا الى جبال بارزان وكنا في حالة يرثى لها، فارجلنا عانت من ألم شديد وقد أدمتها الجروح، وأحذيتنا كانت بالية، ولم نعد نطيق السير طويلاً. وفي

جبال كردستان الشمالية كنا نلجأ الى الاعشاب البرية لتهدئة الجوع اذ كانت القوات التركية قد احتلت معظم قرى الكرديين فحرمتنا من التزود بالطعام وكانت تطاردنا ليل نهار. كانت المشكلة الرئيسية هي مشكلة إطعام النساء والاطفال المتواجدين في المواقع العاصية والوعرة والمعزولة في الجبال.»

كانت الحكومة العراقية قد تبنت إجراءات إقتصادية خانقة وصارمة (سياسة التجويع) وتتلخص بالنقاط التالية:

١. تخلية القرى كلية من سكانها وارغامهم على التجمع في قرية تعينها الحكومة، فعلى سبيل المثال اخليت قرى هوستان، بيان، هه سنه كا و ريشه وجمعوا السكان في قرية بارزان، كما أصبحت ميركه سور وبيرسیاف وبيران وخيرزوكا ويازي وغيرها مراكز تجمع اجباري لاهالي القرى المحيطة. وشملت سياسة التجويع كافة مناطق بارزان. الجدير بالذكر ان نظام صدام حسين عاد الى تطبيق نفس هذه السياسة على نطاق واسع شمل كردستان برمتها وذلك بعد انهيار الثورة الكردية عام ١٩٧٥، فأوجد مجمعات سكنية عديدة، لاسكان أهالي القرى التي شملها التهجير، وكانت هذه المجمعات تحت الاشراف المباشر للجيش العراقي.

- ٢ - منع مغادرة أي فرد من قرية الى اخرى دون موافقة الادارة الحكومية.
 - ٣ - كان البوليس العراقي يقوم في كل صباح باكر بعد رؤوس قطعان الغنم والمواشي قبل انطلاقها الى المراعي، ثم يكرر العد عند عودة القطعان بهدف التأكد من ان فصائل المقاومة لم تأخذ طعاماً من الرعاة .
 - ٤ - كان البوليس يراقب المزارعين وهم يكدحون في حقولهم، ولم يكن الطعام المسموح به لكل فلاح يتجاوز وجبة واحدة عندما يذهب الى حقله، وبهذا لايمكن المزارع من إطعام افراد فصائل المقاومة.
 - ٥ - عندما حلّ الصيف ونضجت الفاكهة استدعت سلطات الاحتلال مجموعات غفيرة من الناس وأمرتهم بتسلق الأشجار وقطف كافة الثمار و بهذا تعمقت سياسة التجويع. كان اغوات العشائر المجاورون متفقين مع الحكومة العراقية في مساعيها هذه، ولم يكن ممكناً بالنسبة لفصائل المقاومة التزود بالطعام خارج مناطق بارزان.
 - ٦ - من الناحية السياسية، كان لهذه الاجراءات أثر كبير في الحيلولة دون الاتصال بين فصائل المقاومة وسكان القرى. (١٠)
- ليس من شك ان الحالة الاقتصادية الخانقة لم تبق امام فصائل المقاومة خياراً آخرأ غير استخدام العنف في بعض الاحيان للتزود بالطعام. وعلاوة على

حكم المخافر

ذلك امرت الحكومة العراقية جميع العشائر المحيطة ببارزان بعد تسليحهم بالتهيؤ للقضاء على فصائل المقاومة.

يشرح حسين خال ملا الوضع آنذاك كما يلي:

« كنا جميعاً في حالة تجوال مستمرة. وفي كردستان الشمالية أمرني القائد أحمد نادران اذهب بحثاً عن الطعام للعوائل والاطفال الجائعين، فغادرت مع مجموعة من الرفاق، وبعد فترة من السير باتجاه (كه ليت) قصدت نبع ماء لأروي عطشي ، وفجأة تناهى الى سمعي صوت آت من قريب، فاستدرت باتجاه الصوت لأرى مصدره، ولدهشتي ، كانت قوة تركية تسير باتجاه نفس نبع الماء، وعلى سفح الجبل كانت قوة تركية ثانية تتعقبنا وكانت هي الاخرى نازلة الى الوادي. أسرعنا الخطف الى موقع مشجر، وبعد برهة قصيرة حل الجنود الترك على نفس نبع الماء. فعدت أدراجي وبعد سير قصير سمعت بكاء الاطفال وهم يتقدمون باتجاه القوة التركية. كان القائدان (أحمد نادر و خليل خوشي) برفقة العوائل، ولحسن الحظ إلتقيت بهم في الوقت المناسب وحذرتهم على الفور من تواجد الجنود الترك الذين كانوا يتعقبوننا، إضافة الى قوة تركية اخرى في (كه ليت). غيرنا إتجاهنا وابتعدنا عن موقع تواجد القوات التركية. جمعنا العوائل في واد صغير تغطيه اشجار البلوط الكثيفة، وانتشرنا نحن الرجال لاحتلال مواقع دفاعية توقعاً لهجوم تركي وشيك. وبحذر شديد تمكنا بعدئذ من الابتعاد عن المكان وقررنا الذهاب الى جبل JULE (ژولى) . يمثل هذا الجبل خطأً حدودياً فرضته اللجنة الدولية لتقصي نزاع ولاية الموصل. وهو صقع صخري هائل شديد الوعورة والمسالك التي تؤدي الى قمته المسطحة محددة، إنه صعب المرتقى وبامكان عدد قليل من الحراس حمايته بسهولة نظراً لهيمنة المواقع على الجهات الاربع.

المقاومة الكردية

النظير العام
عمليات مطاردة مشتركة: بغداد - أنقره

المقاومة الكردية

النفيير العام عمليات مطاردة مشتركة: بغداد - أنقره

كانت معظم العوائل في كردستان الشمال - تركيا - هي الاخرى في حالة تجوال وتنقل متواصل، وفي الليالي الممطرة، كانت الامهات يحملن أطفالهن ويواصلن السير بحثاً عن موقع أكثر أماناً أو هرباً من دوريات الجنود الترك أو العراقيين. ويقول حسين خال ملا :

«كنا ننحرف عن المسالك الجبلية سواء أثناء الصعود أو الهبوط في ليال حالكة الظلمة وتحت وابل غزير من المطر، وفي كثير من الاحيان كان البرق الخاطف يهديننا من جديد الى المسار الصحيح .

كنا ثلاثة مسلحين غادرنا نحو (كه ليت) ، اذ علمنا بوجود عدة منازل هناك غير محتلة من قبل القوات التركية، وبسرية تامة دخلنا المنازل وطلبنا من سكانها الطعام، فزودونا به وعدنا ادراجنا نحو عوائلنا. وبعد ان تناول كل فرد حصته من الطعام، حملت الامهات اطفالهن ومشينا ووجهتنا جبل (ژيل). هذا القرار كان نتيجة مباشرة لاحتلال القوات التركية كافة قرى الكرديين ومطاردتها المستمرة لنا. وفي الجانب الآخر كانت القوات العراقية تترصدها ولم يكن هناك من أمل في الحصول على الطعام. كان الوقت لايزال ربيعاً من عام ١٩٣٥. فصعدنا الجبل وحطينا الرحال، وأخترنا بعض المواقع للاستيطان، كما إخترنا مواقع الحراسة وحددنا الادوار ومهام الاستطلاع واخراج المفارز لمراقبة تحركات القوات التركية والعراقية. كان الجنود الترك في (بيسكا) وفي (كه ليت) منتشرين في عدد من المعسكرات، وكان هدفهم الرئيسي ملاحقتنا.

في أحد الايام، عند الغروب وبعد مراقبة تحركات القوات التركية عدت الى جبل (ژيل) ولحسن الحظ وجدت (وه س فه ق آره ب) قد عاد لتوه مع مفرزته من رحلة طويلة بحثاً عن الطعام في (بيكارته)، وقد جلب معه عدداً من الاغنام والماشية وابتهج الجميع بذلك.

في الجبل كان هناك عدد من القادة، مثل أحمد نادر وعبدالله كلكه موى ، وه س فه ق آره ب.

في هذا الوقت كان خليل خوشفي مع فصيله بعيداً عن الجبل. (١) زاد تحشد القوات العراقية، اذ انضمت في شهر نيسان ١٩٣٥ كتيبنا الحدود الاولى والثالثة الى قوة الشرطة المتحركة التي كانت تتعقب الفصائل الكردية باستمرار.

يشير السير . أ . كلارك كر Sir A. Clark - Kerr في احدى برقياتہ المؤرخة في ٢٣ نيسان الى الوضع كما يلي:

«...وقع صدام بين قوات البوليس المتحركة وخلييل خوشفي في بداية شهر نيسان في المنطقه الواقعة الى الشمال من نهر روكوجك ويقال ان ٦ من المتمردين قتلوا وقبض على جريح بينما وقع قتيل واحد من قوات البوليس. وفي الجانب التركي تستمر السلطات في التعاون وقد سلمت الى قوات البوليس العراقي ستة عوائل تابعه لأنصار خلييل خوشفي.

ان العصابات في حركة مستمرة ويتغير تركيب هذه المجموعات كثيراً ولذا فمن الصعب جداً إعطاء وصف صحيح لتنظيمهم.....» (٢)

ولتفكيك هذه الفصائل أصدرت الحكومة العراقية عفواً مدروساً يشمل الجميع. لكن توقعات السفارة البريطانية في تجاوب خلييل خوشفي كانت غير مشجعة، وتقول برقية بعثتها السفارة البريطانية في بغداد الى لندن مؤرخة في ١٦ مايس:

«تفيد التقارير ان خلييل خوشفي عبر من جديد الى داخل الحدود التركية وقد يتردد في قبول شروط العفو.... لكن من المحتمل ان يقبل عدد من أنصاره الذين لم يرتكبوا جرائم سوى حمل السلاح بشروط العفو التي قدمت لهم.» (٣)

لم يثمر العفو نتائج المرغوبة فأعلنت الحكومة الأحكام العرفية في شهر آب في منطقة بارزان وشيروان حيث كانت تجري عمليات عسكرية واسعة. إستهدفت الحكومة من ورائها توجيه ضربة حاسمة الى فصائل المقاومة قبل حلول الشتاء خاصة ان قوه خيالة تركية وصلت منكوره لمساعدة القوات العراقية (٤) وقام رئيس أركان الجيش العراقي طه باشا (الهاشمي) بزيارة لمنطقة العمليات.

فيما يتعلق بفصيل المقاومة الذي إتخذ جبل ژيل مركزاً له ، يقول حسين خال ملا:

«كان عددنا يربو على المائة شخص، ضمنهم النساء والاطفال، ذهبت الى أحمد نادر وحذرته من مغبة البقاء في الجبل اكثر من هذا اذ كنا على دراية بتحركات القوات التركية والعراقية، فالأولى كانت تطوق الجبل من جهة الشمال بينما تطوقه الثانية من الجنوب. توقعت حصول كارثة، وقلت ان من المحتمل ان ينشأ وضع يتعذر فيه علينا حتى انقاذ عوائلنا، فليس لدينا طعام ولاعتاد، والطلقات محدودة، كما ان الحكومتين تدفعان الرشاوى للبعض لكي

يقوموا بأعمال التجسس لكشف مخابئنا و ثم مهاجمتنا. في النهاية قبل القائد أحمد نادر مغادرة الجبل، لكنه أضاف: «سنترك هذا الموقع بعد بضعة أيام.

في صباح مبكر كانت الشمس قد أطلت بنورها على قمم الجبال الشاهقة، ويبدو ان الجنود الترك كانوا قد تسلقوا الجبل خلسة أثناء الليل برفقة بعض الجواسيس من أهالي (كه ليت) ، وبدأوا بإطلاق النار فتصاعد الغبار في الموقع الذي كان يحتله أحمد نادر، رددنا على النار بالمثل ولم يتمكن الجنود من المقاومة طويلاً، فانسحبوا بعد ان يأسوا من إحتلال الموقع . حال سماعنا إطلاق النيران على مواقعنا إتجه عبدالله كلكه موى نحو اليسار أما نحن فقد إتجهنا نحو اليمين، كنت لا أزال أوصل إطلاق النار على القوات التركية المتقهقرة عندما شعرت بشقيقي سعيد يقترب مني ويضع يده على كتفي قائلاً بنبرة مليئة بالحزن :

«كفى إطلاق النار لقد استشهد احمد نادر.»

إتابني حزن شديد ورحت في صمت عميق ... معنوياتنا خارت. وفي هذه الأثناء وانا غارق في الحزن والأسى تناهى الى سمعي، صوت آت من بعيد. كان Ali serkeri المشهور بـ (علي الضرير) يتمتم بصوت حزين وخيم جو من الانهيار المعنوي، أخضينا الخبر عن العوائل، ثم أمرناهم ان يتأهبوا للنزول من الجبل والإستسلام إذ لم يكن أمامنا خيار آخر. عارضت النساء وقلن دعونا نموت معكم، لكننا رفضنا بقائهم معنا، كن ينتحين.»

آيشى، إبنة أحمد نادر، فتاة ربما كانت دون الثامنة من العمر، انفجرت باكية وهي تقول: **لا بد أن أبي قد قتل، إذ لو كان حياً لما قبل ان ننفصل عنه.** لكن المقاتلون لم يعيروا توسلهم أي إهتمام، فأخذوا يوجهون أوامر صارمة لاقبل النقاش او التردد.: سوف تنزلون من المنحدرات نحو القوات التركية وتطلبون الدخالة، وسوف يوجه الجنود اليكم اسئلة كثيرة حول عددنا، ومكان وجودنا ومن اين نتمول. لكن حذار من ان تدلوا بمعلومات، قولوا عنا انهم اصبحوا وحوشاً، لقد هجرونا وتخلوا عنا وعن اطفالنا.. ثم التفت بارزاني آخر الى الاطفال وهم ملتصقون بامهاتهم بين الصخور، وقد عانوا اشد المعاناة وقال:

انتم.. الاطفال، سوف يقدم لكم الجنود الترك الحلويات والالعاب، ويسألونكم عن مكان وجو دآبائكم، لكن عليكم ان تقولوا لانعلم اين هم، لقد هجرونا.. هل فهمتم؟..

الصبي سعيد نجل أحمد نادر - فيما بعد أول بارزاني يحمل شهادة دكتوراه

من الاتحاد السوفيتي - قال :- وربما كان يعبر بذلك عن امنيات جميع رفاقه من الاطفال، وهم في سن لايميزون عداوات الكبار - :

«كلا.. إن اعطوني حلويات والعب فسوف اقول لهم أين انتم..»

«أجبرنا الجميع على الانحدار من سفح الجبل والاستسلام للترك وليس للعراقيين. لكن فيما بعد سلم الاتراك جميعهم للسلطات العراقية في شيروان.»
لأول مرة إلتقيت بـ **Ali serkeri** مؤلف ومغني ملحمة جبل **Jûl** كان في عام ١٩٥٩ واستمعت اليه يغني في قرية ريزان. وكما نوهنا كان قد اشترك في هذه المعارك، وبعد تدهور وضع المجموعة التي كان يعمل ضمنها وقع اسيراً في يد السلطات العراقية، وحكمت عليه بالسجن لثلاثة عشر عاماً إضافة الى ثلاث أعوام اخرى بالنفي في جنوب العراق. ولم يتعلم اللغة العربية لأنه فضل الانزواء في زنزانتة أسير ذكرياته للأحداث التي عاشها في جبال ووديان وطنه كردستان. وقد ارتأيت ترجمة الملحمة ويجدها القارئ في الملحق رقم ٢.

نعود الى حسين خال ملا ليواصل حديثه:

«أما نحن فقد إنحدرننا من الجبل والتحقنا بالفصيل الآخر الذي كان تحت إمرة خليل خوشفي في (ستوني) ثم إتجهنا جميعاً الى (جياي ره ش). الجبل الاسود. وبعد ذلك الى قرية (أوليا) في أوساط السالاريين، و غادرنا الى أوساط قبيلة (هركى بنه جي) ثم الى **Bêgor** و عدنا الى منطقة (به روژ) والى (قرية به رده ريا) وكنا في حالة سير متواصل ليل نهار.
ونظراً لأوضاعنا الصعبة ومطاردة الأعداء المستمرة لنا إنقسمت قوتنا الصغيرة الى قسمين، الاولى يقودها (عبدالله كلكه موى) والثانية يقودها (وه س فه ق آر ب).

إتجهت القوة الاولى باتجاه قرية (زرارا) بينما القوة الثانية، والتي كنت ضمنها، إتجهت الى أراضي قبيلة (دولري) ثم الى (كه لوك) ومن هناك الى قرية (مه راني) والى (آش بيران) ثم الى (بوكران). كانت الوحدات التركية والعراقية تتعقبنا على طرفي الحدود ولم تترك لنا فرصة لالتقاط انفاسنا و كان النضير العام سارياً ضدنا، ومع مرور الأيام إزادت اوضاعنا تدهوراً خاصة ان عدداً من الأغوات المرتزقة الكرد كانوا متعاونين مع الحكومة كقوات غير نظامية لتعقب آثارنا. لقد انهك الاختفاء المتواصل والسير الطويل والجوع والعطش قوانا الجسدية، وإستسلم اخيراً (وه س فه ق آر ب) الى السلطة العراقية، بينما واصلنا نحن الاختفاء في الجبال. إقترب فصل الشتاء القارس وكان بيننا جريح لدغته حية سامة، الا انه ابى ان يسلم الى الحكومة العراقية. إجتمعنا

وبحثنا مصيرنا، كانت آفاق المستقبل مظلمة واقترح البعض الذهاب والاختفاء في فارس أو الالتجاء الى (كه لى تيارى) - وادي التياريين - لم يعد البقاء في مناطق بارزان أو حتى مناطق الكرديين ممكناً نظراً لكثرة المفاوز العسكرية التركية والعراقية التي كانت تتعقبنا باستمرار في شمال وجنوب خط الحدود الذي يقسم كردستان.»

لقد أحكمت حكومة بغداد قبضتها على أكراد المنطقة مستخدمة الإرهاب وعمليات الإعدام أمام أنظار الشعب. اذ ذكر رئيس أركان الجيش العراقي طه باشا للسير **C. H. Bateman** في الثالث من سبتمبر وكان قد عاد حديثاً من زيارته الى كردستان، أن أربعة من رجال خليل خوشفي قد أعدموا، أما خليل خوشفي فقد عبر الحدود من جديد الى داخل تركيا، وتسعى الوحدات التركية الى تطويقه. وفي رأي رئيس الأركان العراقي ان الوحدات التركية التي تتعاون مع القوات العراقية هي وحدات كبيرة جداً ولذلك لا تملك عامل المباغته الضروري لسد منافذ النجاة أمام الفصائل الكردية. (٥)

في الواقع كان وضع المقاومة الكردية في تدهور مستمر، ولعل البرقية التالية تلقي ضوءاً كافياً على ظروفهم.

«سري. بغداد ٢٦ سبتمبر ١٩٣٥ (٦)

من **Mr. Bateman** الى السير **Samuel Hoare**

سيدي

اشارة الى برقيتي رقم ٤٥٧ المؤرخة في ٥ سبتمبر، لي شرف إعلامكم بأن خليل خوشفي قد التجأ الى الأراضي الفارسية مع عشرين من رجاله الباقين. أما عائلته فقد ألقى القبض عليها، ومن بين المجموع الكلي أحيل ٦٣ من انصاره الى المحكمة العرفية، وقد تم شنق ثمانية منهم حتى هذا التاريخ، كما حكم على الباقين بمختلف العقوبات كالسجن ونفي البعض منهم الى الصحاري الموحشة في جنوب العراق.

٢. في حديث جرى أخيراً مع ياسين باشا (الهاشمي) قال لي، ان سياسة تخلية القرى من السكان في المنطقة التي تدور فيها عمليات خليل خوشفي أثبتت نجاحها الكامل، ان هذه السياسة حرمته من كل ما يحتاجه من المعلومات والتموين، ونتيجة ذلك تمكنت الوحدات التركية والعراقية المتعاونة من تضيق الخناق عليه، وعندما تغلب حذره على شجاعته، إختار الذهاب الى فارس، وأضاف فخامته ان التعاون العراقي. التركي انجز القسم الأكبر من المهمة ولم يبقى مما نأمله الا القليل.

٣. واضح ان العقوبات التي فرضتها المحاكم العرفية العسكرية قد تركت أثراً عميقاً لدى سكان المنطقة العزل، وقد أعطى رئيس الوزراء تعليمات بوقف تنفيذ أحكام الإعدام إلا بموافقته.»

التوقيع

C. H . Bateman

في مواجهة قوات الجيش والشرطة والمرتزة الكرد، لم يبق امام وحدات المقاومة سوى الاختفاء او القتال دفاعاً عن النفس ويقول حسين خال ملا بهذا الصدد:

«مكثنا في (شروينا) فترة طويلة دون ان يعثر علينا الاعداء وبقينا حتى حلول الشتاء، ثم انضم الينا (عبدالله كلكه موى) وغادرنا معاً نحو (ليرى ته قرى) وهناك ونحن على وشك تناول وجبة طعام واذا بمناد ينادي ان قوات الاعداء طوقت القرية، فخرجنا من المنازل وقاومنا هجوم القوات المعادية، لكن أحد رفاقنا (سمائل) استشهد في المناوشة الاولى. قاومنا حتى حلول المغيب، واستطعنا الافلات من الكماشة واتجهنا نحو قبيلة (هركى بنه جى) حيث وصلنا إحدى القرى، واثناء مسيرتنا الليلية خلصة داخل القرية، سمعنا أحد الفجر يغني احدى الملاحم البطولية عن الحرب التي دارت رحاها في عهد الشيخ عبدالسلام، عندما هاجمت القوات التركية والمرتزة لاحتلال أراضي بارزان عبر جبل بيرس، في مطلع القرن، وتدعى بـ (ملحمة سه رى بيرس). لم نتمكن من النوم حتى الصباح، اذ كانت القوات الحكومية مع المرتزة تطاردنا بلا انقطاع. تمكنا من الوصول الى قرية (درى) وبدأت الثلوج تتساقط، كنا حوالي ٣٤ مقاتلاً، وما ان وصلنا القرية بشق الانفس، ولم نكن بعد قد إستعدنا أنفاسنا حتى لاحظنا القوات المعادية تتقدم نحونا، وهكذا غادرنا باتجاه (كه لى بيرى) ثم الى (ارتيش) والى اوساط (الهورماريين) وقد رحب بنا هؤلاء وقدموا لنا الطعام، وطلب منا الأغا ان نغادر على الفور لأن المفازز الحكومية ستصل لامحالة، وبمشقة بالغة إجتزنا الهضبة المكسوة بالثلوج الغزيرة، ووصلنا الى (شيفارها) وكانت القرية مؤلفة من ثلاث بيوت، هممنا بالراحة ولكن سرعان ما ظهرت القوات الحكومية ونادى البعض منهم مهددين، أين المضر؟ وهكذا لم يبق أمامنا غير الرحيل من قرية الى اخرى، دون توقف أو راحة، كنا مطاردين ليل نهار وكانت شبكات المفازز المعادية تتضاعف وتضيق علينا الخناق أكثر فأكثر. كانت تحصل معارك دفاعية بين حين وآخر للافلات من قبضة

الأعداء. وصلنا الى أوساط (الريكانيين) وهناك رافقنا سبعة أشخاص كأداء واضطررنا بسبب الثلوج الغزيرة الى إستخدام الأحذية الكردية التقليدية (ليان) للسير على الثلوج دون الغوص فيها. لكن قوات المرتزقة ومفارز الحكومة كانت تواصل مطاردتنا دون كلل. وصلنا (بنياناش) في شمال كردستان - تركيا . لكن القوات التركية كانت متأهبة فهاجمتنا هي الأخرى. فاضطررنا الى الفرار والذهاب الى قرية (هيشه تي) وهناك إلتقينا ببعض الرعاة وبسبب الحاجة الماسة إضطررنا الى سلب معطف ورأسي غنم و٧٠٠ مجيدي. وما أن إلتقينا بخليل خوشقي وعلم بما جرى. إمتعض كثيراً وأمر بإعادة كل شيء لأصحابه. واصلنا السير حتى وجدنا أنفسنا أمام منزل كان وحيداً. هناك قضينا الليل، ثم الى (جه لي) ثم عبرنا الى (دشتاني) وتزودنا ببعض الخبز ونزلنا الى بطن وادٍ، وهناك بعد ان اكلنا قررنا البقاء ليلتين، لكن العدو اكتشف موقعنا فهاجمنا ونجونا بصعوبة. كنا في كثير من الاحيان نختمي في أخاديد الجبال فتمر المفارز الحكومية أو قوات الأغوات المرتزقة بالقرب منا دون العثور علينا. قررنا العودة الى جبل (شيرين) وأثناء الإقتراب من المعبر الواقع في بطن الوادي، اطلق علينا النار فانسحبنا على اعقابنا وعدنا الى (ده شتاني) لكن القوات التركية كانت تترصدنا هناك ايضاً، فسلطنا ممراً آخر، الا ان القوات العراقية كانت تتعقبنا، إستطعنا الإفلات من جديد، وسرنا حتى وصلنا (قشوري) ودخلنا منزلاً مبنياً من الحجارة، ولأجل إخفائنا قادنا صاحب المنزل الى إصطبل حيواناته. وهناك أكلنا وكان البرد لاذعاً. وثم قادنا أهل القرية الى كهف مكثنا فيه أحد عشر يوماً. عاملنا نبي آغا قشوري معاملة حسنة، لكنه لسوء الحظ لم يكن ميسور الحال، فنصحنا قائلاً:

ان القوات العراقية والتركية موجودة في كل مكان وليس هناك أمل في النجاة إلا اذا استطعتم الوصول الى سوريا.

شكرنا الأغا لطيبته واعطيناه ثلاث بنادق وعدة خناجر وفاء لفضله علينا وغادرنا المكان.

كنا عندئذ في كردستان الشمالية. تركيا . حيث اعطانا بعض القرويين قليلاً من الطعام مقابل بنادق، وكفانا ذلك لعدة أيام قضيناها في أحد الكهوف. لكن الترك اكتشفوا موقعنا فباغتونا بهجومهم. أبدينا المقاومة وعلى أثر التراشق لقي عدد من الجنود الترك مصرعهم واستطعنا الافلات، ذهبنا الى (كه ليتان) وهناك تزودنا ببعض الطعام ثم الى قرية (زيت) ثم الى إحدى الوديان. كان الثلج في بعض المناطق عائقاً كبيراً أمام الهرب، إضافة الى الجوع والبرد

والنعاس والارهاق الشديد حتى انسلخ جلد اقدامنا، اخيراً وصلنا قرية (كيزا ره ش) في كردستان . تركيا . لكننا لم نتمكن من أخذ قسط من الراحة اذ هاجمتنا القوات التركية وارغمتنا على الفرار.

اشعلنا النار في أحد المواقع للتدفئة إذ كان البرد والتعب قد نالا من قوانا الجسدية والمعنوية. واراد القائد (عبدالله كلكه موى) الانفصال عن قواتنا إذ لم يعد يتحمل الإستمرار على هذا المنوال.

عبرنا خط الحدود نحو الجنوب، وهناك كانت القوات العراقية تتريص بنا، وحصل قتال إستشهد على أثره أربعة من رفاقنا، وتمكنا نحن الباقون من الافلات.

لم يعد لنا من مفر، إذ أينما وصلنا كانت قوات المرتزقة تطاردنا او تنتظرنا على جانبي الحدود التركية . العراقية. ونتيجة للمطاردة المستمرة والجوع والبرد والاعياء فقد تفرق شملنا.»

ولنمض الآن مع ذكريات محارب قدير آخر ذاع صيته في الوسط البارزاني، اذ جرح ٢١ مرة في خضم حياته النضالية الطويلة، انه (صالح علي كانيا لنجي) الذي لا يزال حياً يرزق في قريته (كانيا لنجا) . وهو من المشتركين في قوات المقاومة مع خليل خوشفي ومن الذين شقوا طريقهم الى روسيا، ويعتبر واحداً من أهم مخلصي بارزان وقد زدونا بشهادته عن جانب آخر من اعمال المقاومة البارزانية:

« كنا حوالي ١١٢ رجلاً مسلحاً مع خليل خوشفي عندما عبرنا (روي شين) النهر الازرق. ومعنا امرأة اسمها (زه ري) كانت متزوجة، الا ان أحد الضباط العراقيين كان يتحرش بها، فاخترت الالتهاق بقوات المقاومة الكردية، وكانت مثالا للشجاعة والتضحية.

كان إتجاه سيرنا محاذياً لخط الحدود التركية العراقية، فاحياناً كنا نعبر الى شمال الخط و احياناً نسير جنوبه لتفادي الصدام مع القوات التركية او العراقية. كان هدفنا الوصول الى سوريا وطلب اللجوء فيها، وعند اقترابنا من حدودها، نصحننا الاهالي في المنطقة بعدم الاستسلام لأن الحكومة السورية ستزع عنا السلاح وتسلمنا الى الحكومة العراقية، فعدل خليل خوشفي عن الفكرة ، وفضل البقاء في جبال كردستان. في الواقع كانت القوات العراقية تتبع خطانا وكانت قد سدّت جميع منافذ العودة امامنا. اتجهنا شمالاً في اوساط القشوريين، وكان رئيسهم (حسين آغا) شخصاً كريماً ورحب بنا وقال: لاتقلقوا من اجل الطعام فطوال فصل الشتاء أنتم ضيوف عندي. إنشרכת صدورنا

لهذه المبادرة الطيبة والتي لم تكن مأثوفة. كنا الآن وسط قبيلة منعزلة في موقع محصن محاط بالجبال العالية المتوجة بالثلوج من الجهات الأربع . لقد شعرنا بالأمان حتى حلول بداية الربيع، لكن كان لحسين آغا أعداء يكرهونه فأخبروا السلطات التركية بأن حسين آغا يأوي خليل خوشفي وانصاره. إستدعت السلطات التركية حسين آغا للاستجواب، فنفى الأخير هذه المعلومات وقال ان المتمردين نشطون في الجانب العراقي. فسمحت له السلطات التركية بالعودة الى قريته.

عاد حسين آغا الى القرية وقابل على الفور خليل خوشفي وأحاطه علماً بما جرى مع الأتراك، واقترح عليه ارسال عدد من انصاره الى جنوب خط الحدود والقيام بعدة عمليات ضد القوات العراقية، وقال: وبهذا الشكل سيتصور الترك إنكم فعلاً تقومون بالعمليات في الجانب العراقي ولستم هنا. قبل خليل خوشفي الاقتراح وأرسل عدداً من الوحدات الصغيرة عبر الحدود، ووضعوا كمائن للدوريات العراقية واستطاعوا قتل عدد من رجال الشرطة والاستيلاء على اسلحتهم وعلى بغالهم ثم عادوا باتجاه قرية حسين آغا قشوري. وفي طريق العودة التقوا بشخصين كانا يتجهان نحو تركيا فاوقفوهما وفتشوهما واستفسروا عن هدف سفرهما، فتردد الاثنان في الاجابة ، فشك الانصار في نيتهما، وعندما شددوا عليهما الخناق إعترفا بأن ضابط الحدود العراقية كلفهما بايصال رسالة الى نظيره التركي يطلب فيها تعاوننا أكثر جدية للكشف عن مخابىء انصار خوشفي لأنهم بعد العملية الاخيرة في العراق عبروا الحدود من جديد باتجاه تركيا. قرر الانصار قتل الجاسوسين رمياً بالرصاص، ثم تابعوا طريقهم باتجاه قبيلة القشوري.

لم يمت أحد الجاسوسين من جراحه، واستطاع ان يواصل طريقه الى أقرب مخضر تركي وأخبر الأتراك بما حصل وان أنصار خوشفي عبروا الحدود نحو تركيا.

إستدعت السلطات التركية حسين آغا قروشي من جديد وطلبت منه الاشتراك في البحث ومطاردة خليل خوشفي وأنصاره وان الحكومة سوف تدفع له مبالغ من المال ثمناً لتعاونه. بعد عودة حسين آغا الى منزله قابل خليل خوشفي وقال له:

ان العملية التي قام بها انصاركم في العراق كانت جيدة، لكن أحد الجواسيس بقي حياً وهو الذي أخبر السلطات التركية بانكم موجودون في أوساط قبيلتنا ان هذا مؤسف لكنني لا أستطيع بعد الآن إقناع الاتراك بانكم

لستم عندي، لذا أفضل أن تتركوا هذا المكان وتذهبوا الى وادي التياري حيث هناك دير مهجور، لا يوجد فيه انسان منذ القضاء على الآشوريين اثناء الحرب، وانا من جانبي سوف ارسل لكم ماتحتاجونه من الطعام، والدير ليس بعيداً عن الحدود العراقية.

قبل خوشفي الفكرة وأرسل حسين آغا دليلين معنا حتى أوصولنا الى بطن الوادي. وجدنا الدير ملجئاً ممتازاً في حوض جبال مكسوة بالثلوج وتحيط بالدير الغابات الكثيفة والصخور الوعرة . بدأنا فوراً بجمع الاحطاب واشعلنا النار اذ كان البرد قارساً ووزعنا رجالنا على المواقع المسيطرة على الدير كي لانفاجأ بهجوم. لقد وفى حسين آغا بوعدده، وزودنا بالطعام بانتظام. لكن على طرفي الحدود كانت الحكومتان العراقية والتركية نشطتان عن طريق العملاء الأكراد في البحث عنا. بعد مضي عدة أيام ، وفي ليل دامس نزل أحد حراسنا من موقعه على عجل ليوقظنا ويخبرنا بأن القوات التركية تطوق موقعنا وانها سوف تبدأ هجومها حال وضوح الرؤية في الصباح.

تشاورنا على عجل في كيفية مواجهة الهجوم. قال عبدالله كلكه موى، ان علينا تفادي التجمع داخل الدير، اذ لن نتمكن من الدفاع وصد الهجوم، لأن الدير سيطوق ويستحيل الافلات. هناك مرتفع كثير الأهمية، لو سيطر عليه رجالنا، سنتمكن إبداء المقاومة من موقع مؤات لنا. لكن يجب التأكد من ان القوات التركية لم تحتل بعد ذلك المرتفع. ان هذا المرتفع يسيطر على مواقع عديدة ضمنها الدير.

تحت جنح الظلام خرج اثنان من الدير وتسلقا الجبل الى ان وصلا الى المرتفع ولم تكن القوات التركية قد إحتلته لحسن الحظ، ثم اعقبهما اثنان آخران، وهكذا حتى اصبح عددهم ثمانية مسلحين على المرتفع الإستراتيجي. اظن ان الاتراك كانوا يعتقدون باننا نجعل تواجدهم، وانهم كانوا ينتظرون خروجنا وثم امطارنا بوابل من الرصاص والقضاء علينا.

كان ضمن القوة التي احتلت المرتفع القائد عبدالله كلكه موى نفسه. وعندما غادر اثنان آخران الدير وتسلقا الجبل نحو نفس المرتفع، اكتشف الأتراك الخطة فأطلقوا النار عليهما وقتلا قبل وصولهما الى المرتفع. ثم بدأ الهجوم التركي المكثف لاحتلال مواقعنا، لكن الهجوم فشل بفضل المقاومة التي ابدتها المجموعة التي كانت على المرتفع، وتكبدت القوات المهاجمة خسائر هامة وانسحبت تاركة عدداً من البنادق والعتاد والمعاطف الجيدة.

قررنا البقاء في موقعنا فتره اخرى، اذ بعد هذه الهزيمة سوف لن نجرؤ

القوات التركية على الهجوم الآ بعد إعداد يتطلب بعض الوقت، كان لدينا من الطعام مايكفيينا لأيام قادمة، وكان الثلج الكثيف عائقاً أمام رحيلنا عن الدير، ولم نكن نعرف أين نتجه. وقمنا بتشديد الإجراءات الاحتياطية واحتلت قواتنا معظم المرتفعات لكي لانباغت من جديد بهجوم القوات المعادية على مواقعنا كما حصل في الجولة الأولى.

لم تمض سوى ايام حتى نزل أحد الحراس لينبئنا ان تحشدات تركية اخرى قيد الجريان وان الهجوم سيبدأ قريباً على مواقعنا. قررنا هذه المرة ان نترك الدير واسقطنا خيار المقاومة. لذا نصحنا الحراس بترك مواقعهم والالتحاق بنا حال بدء تحرك القوات التركية باتجاه وادي التياري. فيما بعد نزل الحراس الى بطن الوادي وابلغونا ان القوات التركية تتحرك من عدة اتجاهات وبأعداد كبيرة نحو مواقعنا، تركنا الدير وتحركنا جميعاً نحو الجنوب مقتضين آثار نفس المر الذي كنا قد سلكناه في الخريف الماضي. واتجهنا شرقاً ووجهتنا أراضي بارزان، كنا نريد الوصول الى أوساط قبيلة (مزوري) ، كانت المنطقة بعيدة جداً، وكانت خطواتنا تتعثر وتغوص في الثلوج الغزيره ، كل خطوة نخطوها اقتضت مشقة كبيرة، وكانت القوات العراقية قد أحكمت سيطرتها على جميع المسالك والممرات الجبلية ونصبت كمائنها في مواقع مختلفة. وحيث اتجهنا كانت خطانا تطبع آثارها على الثلوج المتراكمة على طول خط سيرنا المتعرج بين حدود تركيا والعراق، لذا لم يكن بالامكان التخفي عن القوات التي تتعقب آثارنا باصرار. واذ لم تخل قرية واحدة من القوات الحكومية اوقوات الأغوات المرتزقة، كان التزود بالطعام من هذه القرى امراً غير ممكن. وكنا ليلاً في حالة فرار ونهاراً نصد الهجمات. وفي كل يوم يمر، كانت تقع ضحايا جديدة بين صفوفنا. فتناقص عدد الانصار ولم نتمكن من دفن موتانا كما هجرنا جرحانا عندما استحال عليهم مواصلة السير.

وصلنا الى موقع صخري شديد الوعورة، تحصنا هناك، وأفشلنا عدة هجمات كانت تهدف إقتلاعنا من موقعنا. و سرعان ما بدأت قوات مرتزقة إضافية تنهال من القرى القريبة لتضييق علينا الحصار. كان المرتزقة يناشدوننا الإستسلام ويشتمون وان لاجدوى من المقاومة. كانت الطلقات الباقية لدينا محدودة جداً، لذا كان علينا الحرص الشديد في اطلاق النار. ولم نصوب بنادقنا الآ بعد التيقن من ان الرصاص سيصيب هدفه. لقد حرّمنا من النوم وكان الجوع يقرص أحشائنا والبرد يلسعنا والاعداء يهاجموننا بلا إنقطاع . إستمر هذا الحصار ليومين، وفي اليوم الثالث غطى ضباب كثيف موقع

العمليات وتحددت الرؤية بمسافة لا تتجاوز أمتار قليلة. استغلّت القوات الحكومية والمرتزقة حالة الجوّ فهاجمت مواقعنا من عدّة اتجاهات وكانوا يستخدمون الرشاشات، التزمنا الصمت في مواقعنا الى ان وصلوا قرب فوهات بنادقنا، فاطلقنا عليهم النيران دفعة واحدة، سقط من بينهم عدد من القتلى ولاذ المهاجمون بالفرار تاركين قتلاهم.»

ثم يمضي صالح علي كانياالنجي قائلاً:

«كنا في هذا الموقع منقسمين الى فصيلين، أحدهما تحت إمرة خليل خوشفي والثاني تحت إمرة عبدالله كلكه موى ، لم يكن أحدنا يعلم ما حلّ بالأخر إثر الهجوم. فأنتاب صالح عزيز سيلكي قلق شديد لمصير خليل خوشفي. وقد نصحه عبدالله كلكه موى أن لا يبرح مكانه لخطورة الوضع. لكنه لم يتمالك نفسه فخرج من موقعه قاصداً موقع خليل خوشفي الذي كان يبعد مسافة لا بأس بها.

أثناء سيره، التقى وجهاً لوجه بضابط عراقي، تبادل الاثنان إطلاق الرصاص، واصيب الاثنان، خرّ الضابط صريعاً، في حين واصل صالح عزيز سيلكي سيره الى ان التقى بخليل خوشفي. وياد الاثنان بنفس السؤال: هل أنتم على قيد الحياة؟ أدرك خليل خوشفي أن صالح عزيز سيلكي ينزف دمًا من جرحه. لم يكن في وسعنا عمل شيء لعلاجه في وضع كهذا، فقررنا جميعاً إختراق الطوق الذي احكمه العدو بهجوم مباغت وكان صالح عزيز يقترب من نهايته، لكن خليل خوشفي أبى ان يتركه، الا بعد ان تيقن انه فارق الحياة. كان الوقت متأخراً من الليل، نزعنا عنه البندقية والعتاد، وباغتنا القوات المعادية بهجوم خاطف، تفرق العدو من موقع الهجوم وافتتنا من الحصار ومشينا ماتبقى من الليل، وما ان أطلّ الصباح حتى كنا قد إبتعدنا مسافة كبيرة عن موقع المعركة.

علمنا فيما بعد ان القوات الحكومية لم تذهب لتفحص الموقع، فقد ظنوا اننا تركنا المكان، ولذا لم يجدوا صالح عزيز سيلكي، إستفاق الأخير ولم يرى أحداً حوله، كان أعزلاً من السلاح، فمشى الى قرية قريبة إسمها (بيبو) وهي قرية تعود الى عشيرة نيروه وأعلن إستسلامه للقوات الحكومية، لكن ما ان عرفوا هويته حتى قتلوه رمياً بالرصاص رغم العفو الحكومي الذي كان ساري المفعول ورغم كون المستسلم يعاني من جروح .»

ويمضي صالح علي كانياالنجي الى القول:

«لقد انهكنا البرد والجوع والتعب بحيث لم نستطع بعضنا التحرك خطوة

واحدة، جلس ٢٥ مقاتلاً. ضمنهم البطلة زه رى . فوق الثلوج بانتظار وصول القوات المعادية التي كانت تقتضي آثارهم دون كلل. وصلت القوات الحكومية ونزعت عنهم السلاح وارسلتهم الى اماكن نائية في جنوب العراق و حكم على البعض منهم بالسجن ٢٥ عاماً، بينهم حسين خال ملا . الذي زودنا بشهادته الحية في الفصل السالف . كما حكم بالسجن على أخيه سعيد خال ملا لنفس المدة، وحكم أيضاً على المغني الشهير في الوسط البارزاني (على سه ركيرى) الذي غنى فيما بعد ملحمة زيل. وكذلك قتلت الشرطة العراقية (جامي تيلي) أثناء إقتياده الى الجنوب، ففى وادي سيل، شتم المرتزقة شيخ بارزان، وأبى هو ان يلزم الصمت، فرد جامي قائلاً أنتم وملككم منافقون، وهنا قتلوه في الوادي بالعصى والحجارة.

استمر الباقون من رجال خوشفي في مسيرتهم، وقد تقلص عدد الأنصار كثيراً، إذ كانت جميع المسالك والممرات الجبلية تحت مراقبة القوات الحكومية والمرتزقة. وكان على ماتبقى من رجال خوشفي شق طريقهم بقوة بنادقهم. وفي كل مجابهة جديدة كان عدد آخر من الانصار يسقطون صرعى. أخيراً تمكن خليل خوشفي من الوصول الى أراضي قبيلة (ريكان) . ودون شك كانت القوات الحكومية قد اتخذت إجراءات مشددة في الاماكن التي توقع ان يمر فيها خليل خوشفي. فقد كانت وحدات كثيرة وصغيرة العدد قد انتشرت ونصبت كمائن في جميع الممرات في المنطقة الحدودية بين تركيا والعراق، وكانت القرى مليئة بالمرتزقة. حتى المعابر فوق الأنهر او الوديان الصخرية الشديدة الوعورة والتي يمر فيها النهر الازرق، كانت كلها تحت سيطرة القوات الحكومية والمرتزقة. لقد عملت حكومة بغداد كل ما في وسعها لافشال المقاومة البارزانية. وفي الجانب التركي كانت القوات التركية متأهبة لقتال خوشفي إن عبر الحدود. إن وادي النهر الازرق يفصل قبيلة (ريكان) عن قبيلة (مزوري) حيث ينتمي خليل خوشفي. كان آغا قبيلة (ريكان) كلحى شديد العداء للانصار، وكان رجل الحكومة بلا تحفظ.»

أما فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي لمنطقة بارزان فيشير السير Sir A. Clark Kerr في برقية سرية مؤرخة في ١٦ ديسمبر /كانون الاول ١٩٣٥ الى ان أوضاع رجال القبائل والقرى مأساوياً وان وجود أعداد كبيرة من القوات ورجال البوليس لأمد طويل وإرغام أعداد كثيرة من القرويين على ترك قراهم عطّل بشكل جدّي الحياة الزراعية وتربية الحيوانات حيث يشكل ذلك موردهم الاقتصادي الوحيد. و سيعاني السكان معاناة عظيمة من الفاقة والجوع خلال فصل الشتاء. (٧)

ويضيف صالح علي كانياالنجي :

«عند اقترابنا من تراب بارزان، شعرنا بولادة طاقة هائلة تسري في أجسادنا وتجدد الأمل. كان الوقت بعد الظهر وكنا نسير بين قريتين عندما هاجمتنا القوات المعادية من الجنود والمرزقة محاولين سد المنافذ أمامنا، لكننا قاومنا، وأصيب خليل خوشفي أثناء القتال لكن وحدته استطاعت الإفلات . بينما بقيت وحدتنا تحت إمرة عبدالله كلكه موى داخل حصار العدو وأصابنا القنوط عندما تساقط عدد آخر من الانصار تحت وابل رصاص المهاجمين الذين كانوا يتقدمون نحونا. هنا أمرنا عبدالله كلكه موى أن نكف عن القتال، نجلس وننتظر بالإستسلام. عملنا بتعليمات قائدنا، فظن العدو اننا في حالة إنهيار كاملة بحيث لم يبق أمامنا غير الاستسلام. و تقدموا نحونا بحذر، ثم ألقوا بالحذر جانباً. كان الوقت قد إقترب من المغيب وانتظرنا حتى إقتربوا منا، عندها قال عبدالله كلكه موى:

. هيا. لقنوا هؤلاء الذين باعوا انفسهم للعدو درساً لا ينسوه .

في حركة منسجمة وجهنا بنادقنا نحو صدور أعدائنا الذين كانوا متيقنين إننا جالسين للاستسلام وكانوا لا يبعدون عنا سوى أمتار قليلة . سقط عدد منهم وأصاب الهلع الآخرين فولّوا الأدبار. أخذنا الأعتدة وأخرجنا الأظعمة من حقائب القتلى وتابعنا مسيرنا نحو النهر الأزرق للالتحاق بوحدة خليل خوشفي .»

ويضيف صالح علي:

«كان خليل خوشفي قد إقترب من النهر الأزرق. (روي شين) لكنه أراد التأكد من خلو الموقع من القوات المعادية، لذا نزل أحد الأفراد الى النهر وهم بالعبور نحو الجانب الشرقي ففتح العدو النار عليه من ضفتي النهر فقتل وجرفت المياه جثته. عندها أمر خليل خوشفي آخرين ان يذهبوا ويتفحصوا نقطة عبور اخرى غير مطروقة الا نادراً، وتسمى بـ (Derke Meze) وتقع نحو الشمال في موقع شديد الوعورة، وكان يعتقد ان القوات المعادية لن تصل الى هناك، وان من الممكن عبور النهر والوصول الى أراضي المزوريين. وقال انه سوف ينتظر في كهف قريب حتى وصول عبدالله كلكه موى ووحدته.

كان عدد الأنصار الباقين مع خليل خوشفي قد قلّ كثيراً. وفي الطريق الى الكهف صادف أحد القبليين فتكلم معه خليل بود:

نحن جائعون ، وبحاجة الى مساعدة منك، هل تستطيع الذهاب الى القرية القريبة وتأتي لنا ببعض الطعام ؟. سنمنحك أكثر مما تريد، وسوف لن ننسى فضلك، وكما ترى إننا في حالة يرثى لها.

قبل هذا الرجل القبلي ان يقوم بالخدمة فغادر الى القرية، لكنه خان بني قومه، فأخبر آغا الريكان كلحي والقوات الحكومية بمكان وجود خوشفي وفي نفس الليلة طوقت القوات الحكومية والمرتزة الكهف، وطلب كلحي آغا من نفس الرجل القبلي ان يذهب الى داخل الكهف ويخبر خليل خوشفي بأن القرويين أتوا بالكثير من الطعام ووضعوه قريباً من فوهة الكهف، ويريدون رؤية خليل خوشفي ثم يعودوا على الفور حتى لا يكتشف أمرهم. قبل خليل خوشفي الاقتراح ونهض مع عدد من رجاله، وما ان وصل خارج الكهف حتى فتحت عليه النيران بكثافة، أصيب خليل خوشفي لكنه استمر في القتال حتى لقي حتفه، واستمر الباقيون يقاتلون. لم يستسلم أحد منهم وحاربوا حتى أبيدوا جميعاً.»

ويضيف صالح علي كانياالنجي :

«عاد الرجال الذين أرسلهم خليل خوشفي لتفحص معبر **Derke Meze** من مهمتهم وكان قد قتل إثنان منهم في تلك المهمة قبل مقتل خوشفي بيوم واحد، اذ عندما نزل الاثنان من الانصار الى النهر فتحت عليهم النيران من الضفتين فلقيا حتفهما وجرفت مياه النهر جثتيهما. كانت القوات المعادية قد احتلت جميع المنافذ هناك. وعاد الباقيون ليلتحقوا من جديد ب خليل خوشفي.»

ويواصل صالح علي كانياالنجي:

« فيما يخص فصيلنا تحت إمرة عبدالله كلكه موى وبعد ان خرجنا من الحصار، إتجهنا نحو النهر الأزرق، اذ كنا نعتقد اننا سنلتقي بخليل خوشفي هناك، وفي الليل سمعنا دوي الرصاص، لذا قررنا ان لانحاول عبور النهر انما السير في الجبل الى نفس المعبر **Derke Meze** الذي كان خليل خوشفي قد أرسل اليه عدداً من رجاله للاستطلاع. التقينا في الطريق بهذه المجموعة العائدة من الاستطلاع وأخبرونا بان المرتزة إحتلوا الموقع على جانبي النهر. كما أخبرناهم باننا سمعنا صوت الطلقات بالقرب من الكهف. سرنا معاً واتجهنا نحو قرية هيزان، وفي الطريق إلتقينا برجل من قبيلة الريكان، طلبنا منه أن يقول حقيقة ما حدث ليلة أمس وهذا الصباح. أخبرنا بالحقيقة وقال، لقد أبيد الجميع في الهجوم ولم ينجوا ولا واحد من البارزانيين. أصابنا الوجود وانهارت معنوياتنا واستمرت مسيرتنا بحثاً عن مكان نعبّر فيه النهر.»

ويمضي صالح كانياالنجي في سرده:

« عند اقترابنا من النهر، وكإجراء احترازي، نزل أحد رفاقنا الى الماء، وسبح الى الضفة الشرقية، ثم عاد واذ لم يحصل شيء ظننا ان لا خطر من العبور ونزلنا الى الماء، وما ان وصل البعض منا الى قرب اليابسة في الضفة الشرقية

حتى إنهال علينا الرصاص من الجانبين. فلقى عدد من الانصار حتفهم قبل الوصول الى اليابسة. لم يكن هؤلاء المرتزقة يتوقعون ان يحاول أحد منا العبور فصبروا حتى حسبنا ان المكان غير محتل ثم هاجمونا. وبهذه الخطة كانوا يريدون القضاء علينا جميعاً.»

ويضيف صالح كانياالنجي الى القول:

«وصلت تحت وابل من الرصاص الى الضفة الشرقية ، في حين أصيب حه مه كور الذي كان قريباً مني ولم يتمكن من العبور، فسحبته الى اليابسة وأوصلته خلف صخرة. قال لي وهو ينزف: أرجو أن تنادِ عبدالله كلكه موى ليأتي اليّ. أريد ان أراه. وتابع بصعوبة، أريد ان أودعه الوداع الأخير. وعندما جاء عبدالله كلكه موى . قال له حه مه كور وهو يعاني من سكرات الموت: لاتبقى هنا بسببي ... ارحل عن هذا المكان ... أردت ان أقول لك ... وداعاً..

رفض محمد دوشك، رفيق حه مه كور أن يتركه لوحده وهو لا يزال حياً. بينما نحن غادرناهما وعلمنا فيما بعد، أن حه مه كور حمله فوق ظهره الى إصطبل بالقرب من قرية سيدان. لكن في اليوم التالي إهتدى المرتزقة الى مكانهما بسبب جرح حه مه كور الذي ترك آثاره على الثلوج ، فدبحوه ذبح النعاج، بينما قبضوا على محمد دوشكه واعدم في الموصل.»

ويضيف صالح علي كانياالنجي:

«سرنا الليل بطوله حتى الوصول الى أراضي بارزان. ولم ينج من مجموع ١١٢ مقاتل منا سوى ثمانية عشر. واذ لم يبق لنا مفر إتصل عبدالله كلكه موى بـ (ولي بك) الذي كان شخصية ذات نفوذ لدى الحكومة، ومن خلاله تمت عملية إستسلام من تبقى على قيد الحياة من الانصار.

بعد وقت قصير من مصرع خليل خوشفي، أمرت الحكومة أهالي شيروان وقرية كلكه مو بالخروج من منازلهم بما في ذلك الاطفال والشيوخ والنساء وأقتيد الجميع الى الميدان . لقد تحشدوا هناك ليروا بأعينهم نهاية التمرد. وكانت الحكومة قد نصبت ثلاثة أعمدة خشبية علّق عليها ثلاث رؤوس وكان رأس خليل خوشفي في الوسط. وأرغموا الجميع على النظر الى المشهد قائلين للشعب، كل من يفكر في التمرد على الحكومة العراقية سيلقى هذا المصير. وهم يشيرون الى الرؤوس الثلاثة المصلوبة.»

بعد القضاء على الفصائل الكردية إعتبر حكام العراق والبريطانيون أنفسهم أسياد كردستان .

وفي تلك الليلة حزن الشعب وبكى بصمت على موت ابطاله.

النفير العام

فشلت المقاومة البارزانية لأسباب عديدة منها:

- لم يكن هناك حزب كردي يتبنى المقاومة كما حصل في الأربعينات عندما قام ملا مصطفى بالانتفاضة عام ١٩٤٤ إذ إشتراك فيها ضباط كرد من حزب هيووا، وقاموا بدعاية واسعة في الأوساط العراقية وكان لها صدى في الخارج .
- كان الولاء القبلي أقوى من الولاء القومي والوطني في الريف حيث مسرح المقاومة، فقد نهضت معظم القبائل لمطاردة الفصائل الكردية ولبي معظم الأغوات الكرد نداء الحكومة العراقية مقابل المال والسلاح. ولعب الطقس والتلوج الغزيرة دوراً بارزاً في شلّ المقاومة البارزانية.
- لم يحصل أي تمردٍ آخر على الإدارة العراقية في كردستان بحيث يخفف الضغط العسكري على فصائل المقاومة. إذ إستطاعت الحكومة التركيز على إنهاء المقاومة دون الإنشغال بإضطرابات اخرى.
- لم يلتحق أي من إخوة شيخ بارزان بالمقاومة، وحتى لو إلتحقوا فلم يكن ذلك ليؤثر كثيراً على مجرى الاحداث وذلك لغياب تنظيم سياسي كردي يتولى توجيه الدعاية وتنظيم طاقات الشعب نحو النضال التحرري.
- كان الوضع الدولي والاقليمي غير مؤات لتطلعات الشعب الكردي. فالمخطط البريطاني والتعاون العسكري والمخابراتي المشترك بين أنقره وبغداد وتبني الأخيرة إجراءات اقتصادية وعسكرية قاسية، كل ذلك حوّل مناطق عمليات الثوار على جانبي الحدود الى مصيدة مميتة. فعزل الثوار عن الشعب وحرموا من الطعام والعتاد والمعلومات.
- بعد عام من مصرع خليل خوشقي وقعت بغداد وانقرة اتفاقية سعد آباد عام ١٩٣٧، وكانت هذه الاتفاقية موجهة ضدّ الحركة التحررية الكردية في جميع أجزاء كردستان، و ضدّ الشيوعية والتوسع السوفيتي في المنطقة.
- كان من نتائج القضاء بهذا الشكل الوحشي على قوات المقاومة نمو شعور عميق بالإضطهاد والغبن بين الاكراد. فقد إحتلت الحكومة العراقية الأرض وحكمت الأهالي من خلال مخافر الشرطة، وبقي التوتر عظيمًا بين الحاكمين والمحكومين. وكان الجميع ينتظرون الفرصة السانحة للتعبير عن رفضهم لهذا الوضع.
- الملاحظ ان السلطات العراقية والبريطانية لم تتمكن من القضاء على حركة مقاومة الإحتلال في بارزان إلاّ بضمّان تعاون تركيا العسكري في العمليات.
- كانت المقاومة البارزانية هذه قبل أوانها بما يقارب العشر سنوات.
- انّ محاولة إقامة دولة كردية كما رأينا في إنتفاضات السليمانية والمقاومة العنيدة ضدّ التسلط الاجنبي كما شاهدنا في مقاومة البارزانيين، يرينا الدور

المقاومة الكردية

الهام الذي لعبه المشايخ الكرد في الحركة التحررية الكردية. فالمثال الأول يلقي ضوءاً كافياً على قلة أهمية دور البرجوازية الكردية الصغيرة، وكنتيجة لضعفها فقد تحالفت مع الشيخ محمود الحفيد في مطالبه القومية. جلي ان ضعف البرجوازية الصغيرة والمتقنين من سكان المدن كان عاملاً مؤثراً في تحالفاتها مع القادة الكلاسيكيين الذين قادوا الانتفاضات الكردية وظلت حاجة أحدهما للآخر من أهم خصائص المرحلة التاريخية التي إستمرت حتى بعد سقوط الثورة الكردية عام ١٩٧٥.

أمّا في المثال الثاني (بارزان) فرغم سعة وخطورة العمليات العسكرية والإمتداد الزمني فقد بقيت في إطار محدود، ويعود هذا جزئياً الى غياب دور البرجوازية والمتقنين الأكراد وضعف تأثيرهم في المجتمع الكردي آنذاك. لقد إقتضى الانتظار حتى الاربعينات لكي تتحول إنتفاضات بارزان الى إنتفاضات قومية، حيث أصبح دور البرجوازية الصغيرة، سكان المدن في تشكيل الأحزاب، واضحاً وملموساً ومن ثم دعمها لانتفاضات بارزان.

الجزء الثاني

الحقبة القومية

المقاومة الكردية

الهجوم على المخافر

الهجوم على المخافر

المقاومة الكردية

الهجوم على المخافر

في أعوام الثلاثينات والاربعينات شهد المجتمع الكردي والعراقي تحركاً فكرياً واسعاً. ففي عام ١٩٣٤ تأسس الحزب الشيوعي العراقي. وهو حزب اممي يضم في صفوفه كافة القوميات والأديان. ونظراً لغياب حزب كردي منظم في كردستان فقد انضم بعض المثقفين الكرد الى الحزب الشيوعي العراقي (حشع) وأنضم البعض الآخر الى جماعة الاهالي ومركزها بغداد . يقول الصحفي الفرنسي كريس كوتجيرا:

«في ١٩٣٧ كان القوميون الكرد يتوزعون على تنظيمين.

ففي ١٩٣٧ تشكلت جمعية برايتي (التآخي) التي اسسها الشيخ لطيف، ابن الشيخ محمود الحفيد، وكانت على شاكلة الجمعيات الكردية في استنبول و تضم بشكل خاص افراداً من البرجوازية والوجهاء، من بينهم محمد صادق شاويس واسماعيل حقي شاويس وملا اسعد وهو عالم ديني لمدينة السليمانية. الواقع كان هؤلاء المثقفون يقومون بدور هام، اذ كان أحد اخوة الشيخ أحمد شيخ بارزان منفياً في السليمانية. ونعني بذلك ملا مصطفى بارزاني، يحضر الاجتماعات السرية لهذه الجمعية. وبعد ان تلقى ملا مصطفى تدريبيه العسكري الى جانب اخيه شيخ أحمد في جبال بارزان، انضم الى العمل السياسي عن طريق البرجوازية الكردية التي نشأت في السليمانية (العاصمة الثقافية) لكردستان العراق». (١)

كانت العائلة البارزانية قد أمضت سنوات طوال في المنفى العراقي، وكانت هذه أول فرص الاتصال بمحيط عربي، فتعلم البعض اللغة العربية العامية ومنهم ملا مصطفى، وكان الجميع مستأوون من عقوبة النفي استياءً كبيراً اضافة الى الحالة المادية الصعبة للغاية. وكان انتقال العائلة البارزانية الى السليمانية نقطة تحول هامة، اذ امكنهم معرفة اخبار كردستان بشكل اشمل وخاصة الاخبار الوارده من مناطق بارزان.

ثم تشكلت جمعية (داركر) في ١٩٣٨ في السليمانية. ومؤسسها نوري شاويس ويونس رؤوف وعبدالله توفيق جوهر. وكان اعضاؤها من ضمن الشباب المثقف، من بينهم المحامي من هه ولير (اربييل) روستم جباري و مصطفى عوزيري، وكانت الجمعية يسارية الاتجاه ولها خلايا في اربيل و خانقين وبغداد والموصل. (٢)

وفي عام ١٩٣٩ كانت الفئة الكردية المتتورة رغم قلتها وضعفها تبحث عن ارضية مناسبة لتشكيل حزب سياسي كردي، واخيراً تأسس في عام ١٩٤١

وبصورة سرية حزب (هيو=الامل) . كان حزب هيو حزباً قومياً يضم عناصر من كافة الطبقات في المجتمع الكردي، وكان من بين أعضائه معلمون وطلبة وضباط قدر لهم ان يلعبوا دوراً هاماً فيما بعد . ويذكر الوزير الكردي فؤاد عارف في مذكراته انه انضم الى حزب هيو عن طريق عزت عبدالعزيز آميدي . كما كان الحزب يضم عمالاً من شركة نفط كركوك وسكك الحديد إضافة الى عناصر من البرجوازية الصغيرة وعناصر قبلية . وكان لحزب هيو جناحان، جناح يميل نحو اليمين والآخر نحو اليسار . تنافس الجناحان وكان الجناح اليميني يعتقد بوجود استمالة عطف بريطانيا لاجل تحقيق مطالب الكرد القومية كما عارض الشيوعية ووصفها بانها فكرة مستوردة من الخارج . اما الجناح اليساري في حزب هيو، فقد تعززت أهميته باندفاع القوات السوفيتية الى كردستان إيران، وتقديم الجيش السوفيتي العون الى الحركة الكردية هناك . ولا بد من التنويه بأن الروابط الثقافية والسياسية بين السليمانية ومهاباد كانت قوية . وكان هذا الجناح يعتقد ان نيل الحقوق القومية الكردية ممكن من خلال تبني حركة ثورية اشتراكية . وقد عجز الحزب جرأً هذه المنافسة عن ايجاد زعامة قادرة على عدم الخضوع للزعامة القبلية . كما ان الحزب لم يكن له نفوذ واسع بين الغالبية الساحقة من ابناء الشعب . وبما ان الفئات الكردية المثقفة لم تتمكن من توحيد اتجاهها وبقيت منقسمة على ذاتها وفاقدة الثقة بقابليتها واهليتها، فقد تولدت الحاجة نتيجة لهذا العجز الى تحالفات قبلية لما توفره الاخيرة من طاقات عسكرية يمكن استغلالها لاهداف الحركة التحررية .

لقد شكّلت أعوام الثلاثينات والاربعينات مرحلة تاريخية حاسمة في المجتمعات الشرق أوسطية، ضمنها المجتمع الكردي، إذ ساد فراغ كبير في الحركة التحررية الكردية . فالجماهير كانت تشوق الى الانعتاق والتحرر . كان هناك دور يبحث عن بطل . وهنا تكمن الخطورة، فنظراً للإحتلال العسكري وحرمان الشعب الكردي من حقوقه وحالة الإضطهاد والنظرة الشوفينية المتعالية والشعور العميق بالإذلال والمهانة لدى الجماهير الكردية، والتي كانت تترقب وتتظر بروز (القائد المنقذ) . تعتبر هذه الحالة خطيرة جداً في حياة الشعوب، خاصة الشعوب التي ينقصها الوعي السياسي وحيث تتفشى الأمية . في هذه الحالة قد تتجرّ الشعوب وراء شخصية ذكية يرتدي عبائة القومية فتتقاد له كالقطيع، تمجده وتعظمه بأغانيها وزغاريدها وتصبح أداة طيعة إعتقاداً منها بأنه يعمل بإخلاص على إنقاذها من حالة الذلّ . كما إن القائد الانتهازي الذكي يتمكن من إستغلال حالة الجماهير هذه لمصالح ذاتية ويبني

الهجوم على المخافر

أمجاده وبطولاته فوق أكتاف آلاف الضحايا من أبناء الشعب. يجد المضطهد دائماً سعادة في رؤية مضطهديه وقد أدلّوا. لقد ذاع صيت عدد من الأكراد لكونهم قتلوا أفراد من الشرطة الذين ساموا سكان القرى صنوف العذاب، ولاذوا بالفرار إلى الجبال، وكان القرويون يقدمون لهم كل ما يحتاجونه من طعام، إعتراً بفضلهم في الثأر لهم. والشرطي كان يعكس سلطة الحكومة المركزية وهيبتها. وسرعان ما قامت الجماهير بتأليف الأغاني المفرطة في المدح لهذا (المنقذ) وتمتع هؤلاء بشعبية كبيرة من بينهم (خوله بيزه) في أطراف السليمانية. إن مجرد ضرب رموز السلطة في حد ذاته كان يعتبر من الأعمال البطولية والتي تثير حماس وإعجاب الجماهير، ولم يكن هناك أي إهتمام بالنوايا والدوافع الحقيقية لـ (قاتل البوليس) فقد كان القضاء على شرطي كاف لوحده نيل التقدير الشعبي. نفس هذا آلمنمط من الاستعداد الذهني للإنبهار كان سائداً على النطاق السياسي في المجتمع وضمن الأحزاب السياسية الكردية والعربية.

وينبغي الإشارة هنا الى الجماهير العربية في العراق، كانت هي الأخرى تتشوق الى بروز شخصية وطنية تقوم بعملية تخليصهم من النفوذ الاستعماري وتعيد للعرب مجدهم الغابر. لقد ملأ هذا الفراغ لفترة قصيره الزعيم الركن عبدالكريم قاسم عندما أطاح بالنظام الملكي في ١٤ تموز من عام ١٩٥٨، وصادم حسين التكريتي بين أعوام ١٩٦٩-١٩٩٠ وفي المجتمع الكردي قام بدور البطل المنقذ ملا مصطفى البارزاني وقاضي محمد وعبدالرحمن قاسم ووعبدالله أوجلان.

ولاستكمال الصورة نرى من الضروري التطرق باختصار الى الوضع الاقليمي اثناء الحرب العالمية الثانية. لقد حاول رضا شاه الاحتفاظ بايران كدولة محايدة وابقائها خارج الحرب والتدخلات الاجنبية، وقد اعلنت الحكومة الايرانية رسمياً في ٤ / ٩ / ١٩٣٩ حيادها في الحرب العالمية الثانية. لكن رضا شاه احتفظ بعلاقات التعاون الاقتصادي مع الالمان، ورغم قلة عدد الالمان في إيران فإنهم كانوا يشكلون تهديداً لشركة النفط البريطانية الإيرانية ولخطوط المواصلات الحيوية في إيران. كما كانت التطورات في الشرق الاوسط تثير دائماً المخاوف من ازدياد النفوذ الالمان في المنطقة، وقد كسب الالمان تعاطف القوميين العرب مثل رشيد عالي الكيلاني وعدد آخر من الشخصيات العسكرية البارزة الذين قادوا الانقلاب في ابريل/ نيسان من عام ١٩٤١ ضد الحكم والنفوذ البريطاني في العراق. وقد اوضحت المحاولة الانقلابية طبيعة

المقاومة الكردية

خطط وتأثير قوى المحور في المنطقة. وبقية المخاوف تساور بريطانيا من اندفاع الماني فيها. وكانت هذه من اسباب الاحتلال البريطاني السوفيتي لايران. وتضاعفت هذه المخاوف بغزو الجيش الالماني أراضي الاتحاد السوفيتي في شهر ايار / مايو ١٩٤١ وازدادت اهمية إيران بالنسبة للندن وموسكو، اذ اصبح الالماني في وضع يمكنهم من تهديد القفقاس، كما ان اختراقاً المانياً لايران يشل جناح السوفيت اليمين ويهدد خلفية الجبهة البريطانية في الشرق الاوسط. في ٢٥ آب / اغسطس ١٩٤١ غزت الجيوش البريطانية والسوفيتية بتسيق مشترك بلاد فارس. فدخلها البريطانيون من الجنوب والسوفيت من الشمال. وهكذا وقع الجزء الشمالي من كردستان إيران تحت الاحتلال السوفيتي والجزء الجنوبي تحت الاحتلال البريطاني في حين بقيت مدينة مهاباد داخل المنطقه المحايدة.

لقد ادى الوضع الجديد في إيران الى بروز مخاوف تركية من تشكيل دولة كردية مستقلة، وقد قدمت حكومة أنقره مذكرة هامة بهذا الشأن الى المفوضية البريطانية في أنقره. وارسل السفير Sir. H. Kuatchbull-Hugessen في ٤ كانون الاول / ديسمبر ١٩٤١ نفس المذكرة من انقرة الى لندن. مكررة الى بغداد وطهران والقاهرة ، وسرية للغاية وقد ورد فيها:

« تتطور الحركة الكردية في اماكن عديدة على الحدود التركية والفارسية والعراقية والسورية يتمثل ذلك في تجدد الهجمات داخل الحدود التركية من الدول الثلاث المحايدة. ويذكر ان القبائل استغلت تشتت قوات البوليس الفارسي بعد وقوع الاحتلال وقد افادت تقارير انهم احتلوا قرى حول صابلاغ ونقده وان هذه القبائل تتجه نحو المناطق المحيطة بكرمانشاه للحصول على السلاح.

٢. تهدف الحركة الى تأسيس دولة كردية مستقلة تضم المقاطعات الغربية من فارس والمناطق الشمالية الشرقية من العراق والتي يقطنها الأكراد، ويذكر ان عناصر أرمنية وأثرورية تساهم في الحركة ، كما ان بعض الوجهاء الكرد تلقوا تشجيعاً مادياً من (القوات المحتلة في فارس) ويشار ايضاً الى القضايا التالية:

أ. لقد تم اطلاق سراح الزعماء الذين قاموا بدور في ثوره آكري داغ عام ١٩٣٠ . ١٩٣١ والذين كانوا قد ابعدوا الى داخل بلاد فارس وذلك تحت ضغط القوات المحتلة وقد عادوا الى القرى في المناطق الحدودية المحايدة.

ب. ذهب عدد من الزعماء الأكراد من فارس الى العراق ليطلبوا من شيخ محمود ان يصبح قائداً لهم.

س. التقى رشيد (مع محمود) بصدر بوزي (رئيس لجنة بلدية اورميه)

الهجوم على المخافر

وتشاور الطرفان بشأن خطط تتعلق بالاستقلال الكردي.

د. ذكران العديد من القبائل الكردية قد انضمت الى الشيخ محمود وانها احتلت مواقع حول سردشت.

ت. يذكر ان زعماء عشر قبائل اجتمعوا في اورميه للتباحث حول خطة للمساهمة في ايجاد دولة كردية مستقلة.

٣. قال السكرتير المساعد العام اثناء تسليم المذكرة الى الوزير، انه سيقدم لنا من حين لآخر معلومات حول الوضع وسيكون مسروراً لو تلقى وجهه نظرنا في هذا الموضوع. وقد ابلاغناه ان هذه الموضوعية تعارض بقوة أية محاولة تشجيع للأكراد او للأرمن.

٤. سأكون ممتناً لو زودتمونا بالتعليمات لكي نوضح وجهة نظرنا له.»

لكن في ٨ ديسمبر/كانون الاول ١٩٤١ اوضح السير. ر. بولارد - Sir. R. Bul-lard في برقية سرية من طهران موجهة الى وزارة الحرب البريطانية يذكر فيها:

اظن ان الحكومة التركية لم تتلق معلومات دقيقة حول المسألة الكردية في الشهور الاخيرة. فبعد موت السفير التركي في شهر اغسطس / آب ، يدير شؤون السفارة القائم بالأعمال وهو شخص جبان وساذج كذلك الملحق العسكري المعادي للسوفيت، بينما القنصل التركي في تبريز هو شخص معاد للروس ومن الطورانيين. والآن بقدوم السفير الجديد أمل ان تُدرَس المعلومات مع مفاوضاتنا وربما أيضاً مع السفارة السوفيتية قبل ارسالها الى أنقره.

٢. نحن لم نشجع اي زعيم كردي. وفيما يتعلق بسياسة السوفيت انظر الى برقيتي رقم ١٢٨٦ . الحوادث المذكورة في الفقرة الثانية (ب) (س) و (د) قد تكون وقعت رغم انني اشك ماورد في (ب) . لا احد ينكر ان للأكراد مطامحهم لكن هذا وارد في حالة تشجيعنا لهم فقط. فالزعماء الأكراد الذين سجنوا في عهد الشاه السابق، افرج عنهم تمشياً مع سياسة الاصلاحات للنظام الجديد ولم يفرج عنهم بضغط منا او من السفير السوفيتي.

٣. بإمكان ممثل جلالته في أنقره ابلاغ الحكومة التركية ان موضوعية جلالته في طهران سوف تعلم السفارة التركية بشأن القضية الكردية حسب مآلديها من معلومات، وسوف تعمل كل ما في وسعها لضمان التعاون البريطاني والتركي والروسي.»

لكن في برقية أخرى مؤرخة في ٨ ديسمبر/ كانون الاول كان Sir. R. Bul-lard قد علق على برقية Sir Miles Lampson فيما يخص الأكراد في فارس

قائلاً: ان الاخير يببالغ في الظن بان الأكراد ان لم يرضوا بمواقفنا فانهم قد ينضمون الى قوى المحور. اظن ان الاحتمال الاقوى هو ان الأكراد سوف ينضمون الى المنتصر، فعلى سبيل المثال انهم لن يعارضوا القوات البريطانية او الروسية الا اذا اخرجت بجديّة بضغط من القوات الالمانية ان تقدمت هذه الى داخل بلاد فارس.

ويضيف : انه في الفقرة ١٥ والتي تقول ان الروس ايدوا وشجعوا الأكراد في شمال غرب فارس، سبق وان علقت على هذا، من الممكن ان يكون ذلك صحيحاً في بداية دخولهم حيث كان الروس مستعدين للاستماع الى جميع الشكاوى ضد الحكومة الفارسية. وهناك دعاية شيوعية من حين لآخر في آذربيجان، كما حصل على سبيل المثال في الزيارة "الثقافية" الغبية للأكراد ووجهاء آخرين الى باكو. واطن انه من غير الصحيح القول بان السوفيت يشجعون حركة كردية اوتونومية الطابع. لقد سمعت عن حالات تعاونهم مع الفرس ضد الأكراد. على سبيل المثال انهم يرسلون جنود من الجيش الاحمر لتعزيز قوات البوليس لحماية معمل السكر في مياندواب حيث يهدد الأكراد بالاستيلاء عليها.

ويضيف : في حالة الاحتفاظ بفارس كدولة حاضرة، يجب ان تكون الحكومة المركزية قوية، وهذا لايعني اننا سنغض الطرف عن معاملتهم للاقليات، اذ ان نمو الامتعاظ بين الاقليات سيؤدي الى اضعاف الدولة الحاضرة.

فنحن لو شجعنا الأكراد، سوف يطلب منا العرب في خوزستان على سبيل المثال دعمهم ضد الحكومة المركزية. وليس بوسعنا تشجيع الأكراد دون اثاره شكوك الفرس والروس والترك، كما ان تجارينا مع الأرمن والآثوريين تعتبر بمثابة تحذير لخطورة التضليل في انعاش آمال شعب قد تجبرنا الظروف فيما بعد على التخلي عنه.»

ومن موسكو ابرق Sir S. Cripps الى وزارة الخارجية في لندن مؤرخة في

٢٢ ديسمبر/كانون الاول يعلق على نفس موضوع الأكراد :

«استقبل هذا المساء السيد مولوتوف كل من Sir. H. Kuatchbull-

Hugessen و Sir. R. Bullard في الكرملين. وبدعوة منه عبر السير Sir. H. Kuatchbull-Hugessen عن وجهة نظره حول موقف الحكومة التركية مشدداً على دورها المفيد في سد الطريق على الالمان نحو الشرق الاوسط، وان القناعة السائدة في المحافل الدبلوماسية في أنقره هي ان الترك سيقاومون اذا ما تعرضت مصالحهم الحيوية الى الهجوم، ولهذا فانهم يستحقون كل الدعم. السيد مولوتوف لم يعترض، رغم انه انتقد بلطف الموقف التركي، مشيراً الى ان

الهجوم على المخافر

الترك كانوا اقرب الى بريطانيا العظمى في المراحل الاولى، وان البعض منهم وفي وظائف عالية لم يقيموا التهديد الالمانى على حقيقته.

٢. وعندما اثير الموقف السوفيتي من المسألة الكردية، قال مولوتوف ان وزاره الخارجية اجرت تحقيقاً في هذه المسألة، لكن لا يوجد دافع سياسي من وراء عمل السلطة السوفيتية (بالأخص فيما يتعلق بدعوة الزعماء الكرد الى باكو) وخول السير Sir. H. Kuatchbull-Hugessen ان ينقل هذه التأكيدات الى السلطات التركية، وقيل أيضاً بعد تردد بتوجيه رسالة شفوية ودية من السيد ستالين الى السيد Saracoglu كرد على رسالة الاخير التي بعثتها وزارة الخارجية التركية الى السيد ستالين.

٣. مولوتوف اشار الى اهمية المعاهدة الفارسية، لكنه لم يكن مرتاحاً لتأخير ابرامها. وفي رد على ملاحظة حول الشاه الجديد وانه من افضل اصدقائنا في فارس، قال انه يخشى نتيجة لصغر سن جلالتة ان يكون معرضاً «لتأثيرات خارجية معينة»، واعرب عن امله من انه لن ينحى منحى والده، واعترف ان هناك تأكيدات مستقلة حول نفاذ صبر جلالتة من تأخير التوقيع على المعاهدة.»

اما في منطقة بارزان فبعد مقتل خليل خوشفي في شتاء عام ١٩٣٦ انسحبت القطعات العسكرية العراقية واوكل حكم المنطقة للشرطة، وقد ازداد عدد المخافر حتى وصل الى ٢٤ مخفراً ولم تكن هناك مدرسة واحدة او مستوصف واحد. كما كانت الحكومة العراقية تقوم بين حين وآخر بنفي كل بارزاني لديه نفوذ وسط القبيلة لكي يبقى البارزانيون دون قيادة، فقامت السلطات بنفي نخبة اخرى من القادة البارزانيين البارزين من امثال ولي بك سعيد، واخوه صالح سعيد وملا علي زاروكي وملا حبيب وحسين محمد امين، شقان آغا وحكيم بيندروي وقد اعتقل هؤلاء في بلي حيث كانت مركزاً للقائمقامية آنذاك.

لقد عانى البارزانيون معاناة كبيرة فبالاضافة الى اضطهاد قوات البوليس لهم، فقد اصبحوا عرضة لاعتداءات اغوات الزيبار فهاجموا قرية بيكريس البارزانية بقصد السلب والنهب كما طلب الاغوات جمع محاصيل قرية شاندر لكن القرويين رفضوا الاذعان فقامت الحكومة بنفي عدد آخر من البارزانيين.

في الفتره ما بين ١٩٣٦ - ١٩٤٣ ازدادت الهوة بين الحاكمين والمحكومين وتقوت روح الرفض لهذا الحكم البوليسي. ونتيجة للضغوط والاضطهاد فقد ازداد عدد الهاربين من البارزانيين الى الجبال، وهؤلاء لم يتحرشوا بالقوات الحكومية، وكانوا يناهزون سبعين شخصاً لكن عدد المسلحين بينهم كان قليلاً. (٣)

كانت قرى بارزان عرضة للنهب والسلب وكان «الجوع والخراب قد وصلا الى درجة مخيفة» (٤) و «كان الفساد الاداري عاماً لدى رجال الادارة الحكومية ولم يتفقد متصرفوا الاثوية في الموصل واربيل هذه المنطقة.» (٥)

كانت العائلة البارزانية تمضي عامها العاشر في المنفى متنقلة بين عدد من مدن العراق الجنوبية وبعد ان شعرت الحكومة العراقية بأنه لاخطر منهم لان مناطق بارزان هي تحت قبضة قواتها تسامحت اخيراً بنقلهم الى السليمانية. كانت الظروف السياسية العامة في العراق مهياً لتطورات هامة خاصة بعد حركة رشيد عالي، وكان الرأي العام الشعبي مناهضاً لنفوذ بريطانيا وللحكومات العراقية التي كانت دمية في يد البريطانيين، كان الحزب الشيوعي العراقي ذو نفوذ كبير في الاوساط الشعبية وبيث بشكل فعال الدعاية المناهضة للفاشية والامبريالية. وفي الوسط الكردي كان لحزب هيو الفضل في نشر الوعي القومي والدفع بالمجتمع نحو التنظيم السياسي الى حد ما، اما في منطقة بارزان فقد كان الغليان الشعبي في أوجه ضد سلطات الاحتلال. هنا كانت مغادرة ملا مصطفى للسليمانية بمثابة الفتيل الذي اضرم النار في الاحطاب المتكدسة منذ زمن طويل والجميع كانوا يتوقون الى التغير.

في ١٣ من شهر تموز عام ١٩٤٣ وبمساعدة حزب هيو، غادر ملا مصطفى سراً مدينة السليمانية، ماراً بكردستان إيران ثم الى اراضي بارزان وكان لظهوره المفاجيء اثر هائل في رفع معنويات الشعب، وفوراً انضم اليه عشرات الهاربين والمختفين سواء في مناطق شنوى ونغده تحت الاحتلال الروسي او اولئك المختفين في جبال بارزان، وكان قد تجاوز الأربعين من العمر، ولديه تجربة في الحياة، كانت تركيبته الثقافية مزيج من العلوم الدينية والصوفية، وخبرة عسكرية في حرب الجبال، كما انه تلقى الافكار القومية من تماسه بالثقفين القوميين في مدينة السليمانية، وكان يعرف اهمية الدعاية في رفع معنويات شعب مازال بكراً في هذا المجال. كما كان على علم تام بمدى نفوذ شيخ بارزان في اوساط الشعب، فكان يردد انه رجع منفذاً لاوامر شيخ بارزان، وكان يشدد لمراقبيه ان لا يأخذوا اي شىء من الاهالي عنوة، وان يحترموا الناس ويأخذوا ما يعطى لهم عن طيبة خاطر. رغم العوز فقد كان البارزانيون اسخياء الى ابعد حد، فكان الممول الاقتصادي للشوار هم البارزانيون أنفسهم. وكان الغذاء يأتي حتى من القرى النائية والرعاة يهدون من قطعانهم الى المقاتلين. وكان ملا مصطفى يقول اثناء تجواله في القرى، علينا ان لا نياس، مطالبينا لابد وان نتحقق، لنسعى بالطرق السلمية اولاً فاذا ما خابت مساعينا فسوف نلجأ الى السلاح، وفي

الهجوم على المخافر

البداية كانت المطالب هي السماح لشيخ بارزان وجميع المنفيين بالعودة الى ديارهم واطلاق سراح البارزانيين في السجون العراقية، وسحب القطعات العسكرية من المناطق المجاورة لبارزان وتزويد الاهالي بالمواد الغذائية. (٦) الواقع ان نشاطات ملا مصطفى في البداية وكما يشير الى ذلك تقرير بريطاني، كانت (بعيدة عن إحداث أي قلق لدى الاوساط الحكومية. وكان يريد التوصل الى حل مع الحكومة.) ويقول كورنواليس في برقية الى وزارة الخارجية مؤرخة في ٢٥ / ١٠ / ١٩٤٣: «ان تمرد ملا مصطفى الآن شخصي ومحلي.» اذ في هذه المرحلة من القتال لم يكن ضباط من حزب هيو قد تدخلوا عملياً في الانتفاضة.

بعد هروب ملا مصطفى من السليمانية أبعدت الحكومة العراقية العائلة البارزانية الى مدينة الحلة في جنوب العراق خشية هروب افراد آخرين الى اراضي بارزان.

لم تعر الحكومة العراقية اهتماماً بمطالب ملا مصطفى العادلة، انما على العكس بدأت ترسل مفارز لمطاردته، وهكذا بدأت مرحلة احتلال المخافر. لاشك ان من ضمن العوامل الرئيسية التي لعبت دوراً كبيراً في تسهيل عملية احتلال هذه المخافر والتي بلغ عددها ٢٤ مخفراً هو تواجد أعداد لا بأس بها من البارزانيين المنخرطين في سلك الشرطة داخل هذه المخافر. وقد كانوا ساخطين وأصبحوا خير عون في الاستيلاء على المخافر دون إراقة دماء تقريباً. وفي كل الاحوال لم يكن ممكناً بالنسبة للحكومة العراقية حماية هذه المخافر المنتشرة في مواقع عديدة في وسط شعب ثائر وناقم. ولم يكن الحصول على السلاح مرغوباً وحده انما ايضاً انواع الحبوب والاعذية المتكدسة في هذه المخافر لتخفيف حالة شبه قحط في المنطقة.

لقد برز نجم ملا مصطفى كقائد قدير يحظى باحترام شعبي، وكانت تعليماته واضحة للقادة الذين التفوا حوله ليشكلوا قوة رئيسية لضرب المخافر. فكان يوصيهم بأن يحتلوا المخافر دون قتال ان امكن، وتجنب ايداء الاسرى وعدم الاستيلاء على مايعود اليهم شخصياً، لكن يجب اخذ كل ما موجود من سلاح واغذية وتوزيعها على الشعب و ثم حرق المخفر.

احتل محمد امين ميركه سوري أول مخفر، (شاندر). وقد تكلفت خطته بالنجاح بمساعدة عدد من اهالي القرية ودون مقاومة فاستولوا على ثمان بنادق و ٨٠٠٠ طلقة.

ثم جاء دور احتلال مخفر (خيرزوكا) فاستولى البارزانيون على ما فيها من

المقاومة الكردية

مواد غذائية واسلحة وزعت على الشعب. واحتل حسين بيروخي مع قوته مخفر (زيت) واسعد خوشقي (شقيق خليل خوشقي) مخفر (بيراكه بره) واستولى عبدالرحمن اركوشي على مخفر (اركوش) ونوري شيرواني على مخفر (جه مي) وبعد ذلك توجه نوري شيرواني لاحتلال مخفر (ريزان) واحتل اهالي قرية (ميروز) مخفرها، وهاجم مامند مخفر (شيتته) كما هاجم خليل تمر ميروزي مخفر (كانيا ره ش) وهكذا سقطت وبسهولة معظم اوكار الظلم الحكومية واحدة تلو الاخرى عدى مراكز (ميركه سور) و (بلي) وكان من نتائج هذا الانتصار ازدياد عدد المقاتلين ورفع المعنويات وتحرير معظم اراضي بارزان. (٧) ازاء انهيار الحكم العراقي في بارزان، استفاقت حكومة بغداد من الصدمة، لكنها لم تفكر في إيجاد حل سياسي فأخذت تسوق قطعات من جيشها لمواجهة الثوار. هنا قرر ملا مصطفى عدم انتظار وصول القوات الى اراضي بارزان، انما التعرض لها خارج المنطقة والابقاء على القوات الحكومية في ميركه سور محاصرة .

في بدايه شهر تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٤٣ تصدت القوات البارزانية لكتيبة من قوات الشرطة اسفل ميركه سور والحقت بها الهزيمة، وسقط من افرادها العديد من القتلى والجرحى ولم تتعظ الحكومة العراقية فقامت في نهايه نفس الشهر بارسال لواء خليط من المشاة والمدرعات والدرك ومسددة من قبل القوة الجوية، وحصل اشتباك عنيف مع القوة البارزانية بحضور الجنرال بروميلو والذي كان يشغل منصب قائد البعثة العسكرية البريطانية في العراق. دامت المعارك من ٩ - ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر وانتهت بهزيمة القوات الحكومية، وقد ابرق السير كورنواليس من بغداد الى الخارجية البريطانية البرقية التالية، مؤرخة في ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٣:

«لقد اشتبكت القوات العراقية مع رجال العشائر التابعين لملا مصطفى في ٨ و ١٠ و ١١ من شهر تشرين الثاني / نوفمبر، وخسرت قوات البوليس والجيش معاً حوالي ٦٠ شخصاً بين قتيل وجريح، كما خسرت اعداداً من الاسلحة الاوتوماتيكية الخفيفة. اما خسائر العشائر فغير معروفة .

٢. الخطه العسكرية العراقية الآن تتركز في حماية ميركه سور طوال الشتاء وقبل هطول الثلوج بأسابيع سترسل الحكومة ارتالاً للقبط على ملا مصطفى. على الاكثر سوف لن ينجحوا في مساعدتهم هذه.

٣. افاد تقرير للجنرال بروميلو ان الجيش وقوات البوليس العراقي اظهروا قصوراً يرثى له في خبرة عمليات حرب الجبال.»

الهجوم على المخافر

اثر كل معركة كان يتزايد عدد البارزانيين المسلحين وانتظمت القوات واصبح على رأس كل فصيل قائد ممن ابدوا شجاعة عسكرية خلال العمليات. كان العديد من هؤلاء القادة قادة جدد ، اذ كان مجموعة من القادة القدامى اما في المنفى او في المعتقلات العراقية، ومن بين القادة الذين لعبوا دوراً رئيسياً في انتفاضة عام ١٩٤٣: نوري شيرواني، سليم عبدالله سيلكي، عارس خانو بيداروني، صالح كانيا لنجي، محمد امين ميركه سوري، حسو ميرخان دولري، ميرزا آغا ره شو، حسن شهين وآخرين، اذ اخفق الجيش العراقي خلال محاولاته قبل انتهاء عام ١٩٤٣ من احراز اي تقدم في المعارك ضد هؤلاء القادة. كانت الخارجية البريطانية تضغط على سفيرها في بغداد وتطلب منه عدم تدخل عسكري بريطاني: «ان مصلحتنا المباشرة في الحفاظ على الوضع الراهن هي تأمين قوات الليفي على سلامة عوائلهم وان لايتعرضوا لهجوم المتمردين، هذا مع التسليم بأن نجاحات ملا مصطفى ضد الحكومة العراقية لن تهدد المصالح البريطانية الحيوية الاخرى مثل خطوط المواصلات، وان العمليات يجب تركها للحكومة العراقية لأنها مسؤولة عن الأمن الداخلي. وان عجزت الحكومة العراقية في التعامل مع الوضع فهذا لايعني ان علينا القيام بعمليات عسكرية لاسنادها.» (٨)

الواقع ان انتفاضة بارزان شهدت انعطافاً سياسياً هاماً عندما قام حزب هيو في ٦ / ١٢ / ١٩٤٣ بتوزيع منشورات في العاصمة بغداد تتدد بالسياسة المتبعة في كردستان من قبل الحكومة الديكتاتورية في ظل الحلف الاطلسي. حذر السير كورنواليس رئيس الوزراء العراقي نوري باشا من ان جميع المصاعب الناشئة تعود الى غباء الحكومة العراقية، والتي ابقى على الشيخ أحمد وملا مصطفى على حافة الجوع ودون أمل في المستقبل. (٩) كانت الحكومة البريطانية تضغط على الاثني معاً، على الحكومة العراقية لكي تكون أكثر انصافاً في التعامل مع الأكراد، وعلى ملا مصطفى لكي يوقف العمليات العسكرية ضد القوات العراقية، وذلك لكي لايتأثر المجهد الحربي بهذه القلاقل.

وفي برقية من بغداد الى الخارجية البريطانية يقول كورنواليس: «خلال محادثاتي الاخيرة مع الملك ورئيس الوزراء اشرت الى ان الدعاة الكرد بدأوا باستغلال تمرد ملا مصطفى وهناك خطر جدي في ان تأخذ الحركة طابعاً استقلالياً وان تشمل جميع انحاء كردستان ان لم تتخذ الحكومة العراقية اجراءات مناسبة. وطلبت منهم مواجهة الحقيقة المرة وهي انه

للا جيش ولا قوات الشرطة يمكنها مواجهة ملا مصطفى وبالتالي فان هيبة الحكومة متدنية تماماً، في بلد تكمن قاعدة نجاح الحكومة في قوة جيشها، لقد اوجد هذا احتمالات خطيرة، وقد الححت عليهم ان يتخلوا عن موقف اللامبالاة أزاء الشكاوى الكردية في حين تجري الاستعدادات لتهيئة القوات. ولقد نصحتهم ان لا يضيعوا اي وقت في الاتصال بالزعماء الأكراد لشرح موقف الحكومة من البارزانيين ومن القضايا التي شكى منها الأكراد في الماضي. إن التعامل مع الاحداث يتطلب سخاءً وتعاطفاً أكثر مما كان عليه الموقف حتى الآن . واقترحت عليهم اصدار اوامر الى المتصرفين للقيام باتصالات ودية مع الوجهاء في الويتهم.

٢ . الملك ورئيس الوزراء قلقون بشكل واضح بسبب الوضع ووافقوا على مقابلة جميع الممثلين الكرد في بغداد على الفور. وعبر الملك عن رغبته في زيارة الشمال في القريب العاجل وهذه الرغبة قيد الاعتبار. أمل ان اقنع رئيس الوزراء بتعيين لجنة من المندوبين الأكراد للنظر في تطوير الادارة. فقد سبق وان اعلن عن نيته في اقامة ادارة في الشمال وطلب خدمات أحد الضباط البريطانيين لترأس هذه اللجنة.»

وارسل السفير البريطاني كورنواليس الرسالة التالية الى ملا مصطفى:
«لقد عبرت مراراً في رسائلك التي وجهتها الى الموظفين البريطانيين عن صداقتك وثقتك بهم، ان الحكومة البريطانية وموظفيها أشاروا بوضوح ان عليك التوقف عن القيام بأعمال الفوضى، وان تقبل الشروط التي قدمتها لك الحكومة العراقية. انك لم تعمل بهذه النصيحة، لابل تماديت في الاعمال الغير قانونية.

٢ . لقد حان الوقت الذي لا بد لي فيه من تحذيرك من ان هذا الوضع اخذ يريك جهود الحرب للحكومة البريطانية والحلفاء، واذا ما واصلت القيام بهذه الاعمال فسوف تضطر الحكومة البريطانية على اعتبار نواياك عدوانية تجاهها، ويؤدي هذا الى نتائج وخيمة لك. اضافة، فان حالة الفوضى ستسبب موت الرجال والنساء والاطفال جوعاً في المنطقة. انني اعتبر ان عروض العفو والعهود التي قدمتها لك الحكومة العراقية من خلال الشيخ أحمد، حتى بعد قيامك بالهجمات ضد قوات الشرطة والجيش، هي عروض في غاية السخاء، وانصحك بأن توقف هذه الاعمال وتخبر الحكومة العراقية بأنك راغب في قبول عروضها.

انني ارسل لك هذا التحذير لمصلحتك. واذا ما تجاهلت ذلك، فستكون مسؤولاً لما سيحل بك.» (١٠)

الهجوم على المخافر

في هذه الفترة لم تكن مطالب ملا مصطفى تتعدى الافراج عن البارزانيين المعتقلين والسماح للشيخ أحمد والباقيين من المنفيين بالعودة الى بارزان، وتقديم مساعدات الى اهالي المنطقة.

لم يكن هناك تنسيق دقيق بين حزب هيو وملا مصطفى في هذا الوقت، اذ كان حزب هيو ضد الامبريالية وضد الحكم البريطاني بوضوح، في حين كان ملا مصطفى كثير التودد للمسؤولين البريطانيين وكان على معرفة تامة بنفوذهم لدى الحكومات العراقية. ان مراجعة الاسلوب الذي تبناه ملا مصطفى في التعامل مع المسؤولين البريطانيين خلال الرسائل التي وجهها بين اعوام ١٩٤٣ - ١٩٤٤ تشير الإنتباه عندما يلاحظ القارئ عبارات الاسترحام واطهار الامثال المطلق لرغبة الممثلين البريطانيين. وفي رسائله هذه ينتقد سياسة الحكومة العراقية السلبية ويشكوها الى البريطانيين على أمل انتشارال المنطقة من التخلف والعوز. ان هذا الاسلوب في التعامل مع الاقوياء لازمه حتى النهاية ولم يتغير رغم تغير الظروف والمواقف الاقليمية والدولية. فقد كان يعتقد انه بهذا الاسلوب المفرط في التواضع سوف يقنع الاقوياء بجدوى القضية وسيتأثرون بمثل هذا الموقف المنصاع والموافق سلفاً، لكن رجال الادارة البريطانية كانوا بعيدين عن التأثر بهذا الاسلوب في التعامل السياسي، ولم يغير هذا من مواقفهم ازاء القضية الكردية.

وبهذا الصدد يحلل الصحفي الفرنسي الصديق للشعب الكردي هذه العلاقة بين ملا مصطفى والبريطانيين بما يلي: «فهو. يعني ملا مصطفى. بعد ان اتهم الحكومة العراقية بإرغامه على «الدفاع عن النفس» أكد ان قرار العفو ليس الأ «خدعة» وطلب من كورنواليس ارسال أحد الضباط، الميجر ستيبنك Stepping لاجراء تحقيق في التوضع، وعبر عن التزامه بأوامره بكلمات يصعب ترجمتها لما تتضمنه من تواضع. في الواقع كتب ملا مصطفى: «وفي كل الاحوال سوف نضع أوامركم بفخر فوق رؤوسنا واعيننا - مترجم السفير ترجمها كما يلي: نحن فخورون بالإحناء أمام أوامر فخامتكم.»

وفي ٢٧ / ١٢ / ١٩٤٣ رآ على «إنذار» كورنواليس ، طلب ملا مصطفى مجدداً مساهمة البريطانيين في اجراء تحقيق في شكواه وطلب من السفير توجيه الأمر الى الحكومة العراقية للعفو عنه، واطلاق سراح اتباعه. و «في الحقيقة كان يطلب ان يسمح له بحكم منطقته بارزان..» (١١)

وطلب كورنواليس من حكام العراق إبداء المزيد من الاهتمام بالمسألة الكردية والقيام بالاتصالات مع الزعماء الكرد، واقترح تعيين شيوخ كورد (شيخ أحمد ، شيخ محمود) . (١٢)

الواقع ان القوات البارزانية كانت أكثر حماساً وتمرساً في القتال ضدّ قوات نظام محتل ظالم. وكانت القوات العراقية سواء الجيش او قوات الشرطة، ينقصها التدريب والمعنويات. ولكن الشيء الذي يثير الدهشة هو ان الطبقة السياسية الحاكمة في العراق لم تغير من نظرتها الشوفينية، وترفض أي اعتراف بوجود الشعب الكردي. كانت لغة المدفع هي التي تسود عقول هذه الطبقة. تجاهل كامل للواقع ، فضلاً عن ذلك، فإن أي انتفاضة لهذا الشعب في وجه طغيانهم كان يفسر بوجود مؤامرة دولية كبيرة، وبهذا الصدد وأثناء انتفاضة بارزان ذكر السفير البريطاني كورنواليس في برقية الى وزارة الخارجية مؤرخة في ١٣ / ١٢ / ١٩٤٣ يقول:

(.....)

«٣. يميل رئيس الوزراء الى الاعتقاد بأن هناك مؤامرة سياسية كبيرة وراء الأكراد. واعرب عن مشاعره هذه الى السيد ادموندز ، وان القوى العظمى الثلاث ربما لديها خطة سرية بشأن الأكراد في تركيا وفارس والعراق. تكلمت معه بجديّة حول هذه الشكوك الغير واقعية، مذكراً إياه بأن الموظفين البريطانيين ناضلوا خلال العشرين عاماً الماضية لمساعدة الحكومة في تثبيت سلطتها على المناطق الكردية. واننا عندما طلبنا بعض التنازلات للأكراد، كان الهدف دائماً هو القبول بالبقاء داخل العراق...»

ازاء الانتصارات التي حققتها القوات البارزانية أمست الحكومة العراقية متلهفة لاستخدام الجيش لاعادة سلطتها بشكل سريع على المناطق المحررة، لكن رئيس البعثة العسكرية البريطانية ولاغراض عسكرية بحتة نصحهم بالترث والحذر في المواجهة ويقول نفس الارشيف: « اذا ما رفضت الحكومة العراقية نصائحه فليس ما يمنعمهم من ان يجربوا على طريقتهم ويتعلموا من التجربة.» (١٣)

لم يكن البريطانيون راضين عن التطورات لذلك آثروا الحيطة ولم يكن لهم ثقة في قدرة الحكومة العراقية على السيطرة على الوضع. لذا أرسلوا في اواسط كانون الاول/ ديسمبر عدداً من المدرعات الى ديانا لحماية الليفي الأثوري ولضمان الاتصال بفارس، كما طلبوا من الحكومة العراقية سحب قواتها من المنطقة.

نظراً للرسائل الودية التي كان يكتبها ملا مصطفى الى الضباط البريطانيين فانهم بقوا يبحثون عن حل سلمي للأزمة، وفي نظرهم ان مجرد معرفة ملا مصطفى بوجود قوات بريطانية في ديانا كاف لردعه عن الهجوم.

وتفيد برقية بعثها السفير البريطاني من بغداد الى الخارجية البريطانية في

١٤ ديسمبر ١٩٤٣: « ان رئيس الوزراء العراقي يسعى الى الاتصال بملا مصطفى عن طريق اخيه الشيخ أحمد الموجود في الحله تحت الاقامة الجبرية ليراسله الاخير ويطلب منه الانسحاب من منطقة العمليات الحائية، ويخلد الى الهدوء في مكان آخر حتى الربيع، وعندذاك سوف يسمح له بالسكن في قراه. لم يتوقع شيخ أحمد جواباً ايجابياً وأخبر نوري باشا بذلك، لكنه لم يمانع في ارسال رسالة الى ملا مصطفى بيد ابنه الذي هو الآن في راوندوز.»

الواقع ان الحكومة العراقية كانت تريد كسب الوقت حتى الربيع للبدء بهجوم واسع بعد تدريب مكثف لجيشها. لكن الظروف تغيرت كثيراً عما كانت عليه عند مقاومة بارزان في نهاية الثلاثينات، اذ كان هناك عدد لا بأس به من المتعلمين الكرد، ضباط ومهندسون ومعلمون داخل الادارة والجيش والشرطة، وكانوا يتمتعون بمشاعر قومية وواعين للغبن الذي يعيشه شعبهم، ومثلت تلك نقلة نوعية هامة في المجتمع الكردي، كانت النخبة الوطنية الكردية قيد التكوين ولو ببطء وتتجه نحو النضال الوطني، كما ان التعامل والنظرة الشوفينية المتعالية ضد الشعب الكردي من قبل حكومات بغداد عمقت لدى الأكراد الاحساس بالظلم والتخلف.

المقاومة الكردية

هدنة لكسب الوقت

هدنة لكسب الوقت

المقاومة الكردية

هدنة لكسب الوقت

كانت الحكومة العراقية قد سعت الى الاتصال بملا مصطفى خلال العديد من المفاوضات نهاية عام ١٩٤٣ ولكن دون جدوى، اذ طلب ملا مصطفى في تشرين الثاني/ نوفمبر العفو التام عن شخصه وعن رجال البوليس وافراد الجيش الاكراد الهاربين واعادة اراضي العائلة البارزانية المصادرة والسماح للقادة البارزانيين المنفيين في الحله بالعودة الى كردستان، في حين كانت الشروط الحكومية تتلخص في العفو عن ملا مصطفى ورجاله بعد ان يستسلم، ولايعفى عن الهاربين من الجيش والشرطة، كما ان الحكومة ستنتظر في امر عودة المنفيين من البارزانيين ويعاد النظر في موضوع الاراضي المصادرة وعلى ملا مصطفى واتباعه تسليم الاسلحة والذخيرة التي استولوا عليها. (١)

غني عن القول، ان تأريخ الحكومات العراقية في كردستان هو تأريخ ظلم ونكث للعهود، وكان ملا مصطفى واع لأكاذيب الحكومة وعدم التزامها الخلقي، لذا فضل البقاء في الجبال والاستمرار في حالة الحرب على استسلام غير مضمون العواقب.

وأخيراً رضخت الحكومة العراقية لنصائح البريطانيين، فعدّل رئيس الوزراء نوري السعيد الوزارة في ٢٥ / ١٢ / ١٩٤٣ لادخال وزير كردي بلا حقيبة، هو ماجد مصطفى، احد وجهاء السليمانية. وانيطت به مسؤولية الاتصال بملا مصطفى لإيجاد حلّ للأزمة.

التقى ماجد مصطفى بملا مصطفى وبقاده آخرين في ١٠ / ١ / ١٩٤٤ ، في قرية سبيندار بالقرب من ميركه سور. وظهر ان الاثني اتفقا على وقف القتال، وحال عودته الى بغداد قدّم ماجد مصطفى تقريراً مفصلاً الى الحكومة والى كورنواليس السفير البريطاني، نقتطف اهم ماورد فيه:

« هنا اقدم فكرة دقيقة عن عموم الاوضاع في مقاطعة بارزان في الوقت الراهن.

- أ . القرى خاوية من السكان والبعض منها في حالة خراب.
- ب . لاتوجد في المنطقة برمتها آثار الحضارة.
- ج . الجوع والحرمان واضحان بشكل مخيف بين جميع السكان.
- د . الطرق ووسائل الاتصالات مهدمة اضافة الى الابنية الحكومية، وما تبقى من الابنية القليلة فيحتلها الجيش.
- هـ . هناك تعاطف شعبي كبير مع الزعماء المنفيين، هذا التعاطف من بين

العوامل الرئيسية في التفاف القبائل حول زعامة ملا مصطفى.

و. للسكان شكاوى عديدة، والاهالي يعددون مظالم الموظفين وسوء ادارتهم. ز. التقيت بملا مصطفى وقاده آخرين كانوا ملتصقين به، وجدتهم يميلون الى الاحتفاظ بأسلحتهم وعديمي الثقة بوعود الحكومة نظراً لتجاريتهم الماضية في سوء الإدارة والنكث بالعهود. قالوا لي انهم قاموا بهذا العمل الخطير لانهم اضطروا على ذلك. وقد أكدوا لي ولانهم للتاج وللحكومة واستعدادهم لخدمة الاثنين باخلاص وازافوا انهم وضعوا قدرهم مع الحكومة وعدلتها. وعدتهم بأن كل شيء سيكون في صالحهم لو سلموا انفسهم دون شروط، فقبلوا وذهبوا الى حامية ميركه سور كما ابلغتكم شفها، ثم طلبت منهم تنفيذ الشروط التالية:

اولاً : التخلي عن القتال ورفع الحصار عن المخافر والحاميات.

ثانياً : مساعدة الحكومة في الاسراع باصلاح الطرق وخطوط التلفون.

ثالثاً : العودة الى قراهم مع قطعانهم والقيام بأعمالهم العادية.

رابعاً : وجوب اقامة علاقات جيدة مع قادة الجيش ومع الموظفين الآخرين في المقاطعة.

خامساً : التعاون مع الحكومة بغية اصلاح المخافر أو اعادة انشائها.

سادساً : ان يبتعد ملا مصطفى عن منطقة العمليات وان يتابع بهدوء عمله الاعتيادي ولايتدخل في امور لا تعود له، وان يأتي الى بغداد ويسلم نفسه للوصي شخصياً حال حصولي على موافقة سموه.»

ويمضي ماجد مصطفى في ذكر الاسباب التي يراها لاتشجع على استخدام القوة، منها التضاريس الارضية الوعرة وعدم وجود قوات كافية مهيأة لتحقيق النصر كذلك كثرة عدد المتمردين ووحدة زعامتهم إضافة الى استعدادهم للقتال وروح التصميم لديهم.

ويقترح ماجد مصطفى عدداً من الاجراءات لتحسين الوضع:

« أ. السماح للقاده البارزانيين المنفيين بالعودة بغض النظر عن حركة

التمرد والوضع الراهن. ان هذه الخطوة هي في صالح الحكومة من جهتين:

اولاً . سيحدث ذلك خلافات بينهم ويضعف القيادة، ورغم ان ملا مصطفى وشيخ أحمد وملا صديق (يعني محمد صديق) هم اخوة، وان ملا مصطفى يدافع عن قضية اخويه علناً ويجهد نفسه نيابة عنهم، لكن الثلاثة لم يكونوا في اي وقت من الاوقات متفقين في وجهات نظرهم وهم في خلاف دائم، كل واحد منهم يريد الحكم لنفسه.»

ثانياً. بعودة الزعماء المنفيين الى أماكنهم، سيزول هدفهم المشترك والدعوة اليه.

(ب). يجب اتخاذ خطوات فورية لاعادة الاداره المدنية الى الاماكن التي شهدت حركة التمرد وتعيين موظفين مؤهلين فيها، سيساعد هذا الحكومة على اقامة علاقات مع العشائر غير الموالية لشيخ بارزان وسيؤدي هذا بالنتيجة الى تقليص نفوذ شيخ بارزان.

(ج) تخصيص المبالغ اللازمة وبمقدار كاف لاصلاح خطوط التلفون و الطرق، ان اقامة خطوط التلفون وتسوية الطرق من بلى الى العماديه والى عقره وانشاء مراكز قوية هو من اجل ضمان سيطرة الحكومة وربط سكان المقاطعة مع المدن الكبيرة. ويمكن توظيف الايدي العاملة من ابناء المقاطعة نفسها ولكي تصبح هذه العلاقة مفيدة بين الحكومة والاهالي بحيث تعود بالنفع على ابناء المقاطعة.

(د) الغذاء الذي تقرر توزيعه يجب ان يوزع دون ثمن او بأسعار منخفضة ويجب اضافة كميات اخرى الى هذه المواد لكي يشعر السكان بضوائد تواجد منظمات الحكومة بينهم.

(هـ) باتخاذ الخطوات المنوه اعلاه إضافة الى سلوك الموظفين الجيد والعمل بالعدل والاختلاط المباشر مع السكان، ستصبح الادارة قادرة على ضبط المقاطعة ومطاردة المخالفين وجمع الاسلحة وازاحة الاشخاص سواء بشكل مؤقت او دائمي حسب مقتضيات الضرورة.

(و) وعند قبول استسلام ملا مصطفى من قبل سمو الوصي، سيأتي ملا مصطفى الى بغداد، وبعد مدة يسمح له بالعودة، وذلك من أجل تبديد شكوك الشعب والتي نشأت نتيجة نكث الحكومة بوعودها في الماضي. انني واثق في حالة تنفيذ التوصيات المشار اليها اعلاه وان لم يتحقق هدفنا كاملاً وضمن مدة محددة من الزمن، فإنها لن تفضل في ايجاد فرص أوسع للعمل في القضاء على روح التمرد مستقبلاً، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى، فإن إقامة النظام والعدل في الادارة سيؤدي الى انحسار التمرد في مناطق محددة، وسيكون باستطاعتنا عندئذ الحصول على تعاون المناطق المجاورة.

ماجد مصطفى

وزير بلا وزارة ١٨ / ١ / ١٩٤٤

على اية حال لم يكن السفير البريطاني كثير التفاؤل في استمرار مساعي التهذئة التي بدأ بها ماجد مصطفى بتأييد من نوري السعيد، اذ يقول في برقية بعث بها من بغداد الى لندن:

«٥. قد تتوج بعض جهوده بالنجاح لو سمحت تقلبات الحياة السياسية

العراقية ببقائه في منصبه لمدة كافية.» (٢)

لقد استطاع ماجد مصطفى في فترة قصيرة تغيير الوضع المتوتر الى وضع اقل توتراً. اذ عاد شيخ بارزان من المنفى وبمعيته العديد من الانصار الى بارزان في ١٢ / ٢ / ١٩٤٤. تدفقت جموع غفيرة من القبائل البارزانية من رجال ونساء واطفال نحو الطريق الذي سيسلكه شيخ بارزان لاستقباله. فأكتظت القرى بالمستقبلين مروراً بشاندر حتى سريشمه. واقامت الافراح في كافة القرى لعودة البارزانيين المنفيين. وبعودتهم تبوأ بارزان من جديد مركزها الاجتماعي والديني والوطني. وانتعشت من جديد قيم الطريقة والاخلاق الاسلامية الرفيعة في اوساط البارزانيين. فقد كان رجل الفكر والايمان في الوسط البارزاني دوماً أكثر احتراماً من رجل السلاح.

لقد أمسى واضحاً ان الحكومة العراقية لايهمها تخفيف عبأ حياة الشعب الكردي القاسية، وانها تستجيب فقط لبعض المطالب عندما يفرض عليها بالقوة. وهذا ما أثبتته ملا مصطفى من خلال المقاومة التي تمثلت في القضاء على مخافر البوليس والتصدي للجيش العراقي ودحره. مما ادى الى بروز نجمه في كردستان.

وبعد عشرة ايام من عودة شيخ بارزان، وحسب مقترحات ماجد مصطفى، ذهب ملا مصطفى برفقة عدد من رؤساء العشائر ضمنهم فتاح آغا رئيس عشيرة الهركي الى بغداد واستقبلوا بحفاوة، والتقى ملا مصطفى بالوصي عبدالاله وبالسفير البريطاني. ويقول الصحفي الفرنسي كريس كوتشيرا: «ان ذهاب ملا مصطفى الى بغداد كان يشبه زياره رسمية أكثر من عملية استسلام.» (٣)

لم يكن عدد من النواب راضين عن الطريقة التي عالج بها ماجد مصطفى الازمة في بارزان، ويقول السفير البريطاني في رسالة بعث بها من بغداد الى الخارجية البريطانية:

«بتوصية من ماجد مصطفى، وصل اثنا عشر من زعماء القبائل المجاورين لبارزان الى بغداد برفقة ملا مصطفى واستضافتهم الحكومة لعدة ايام كضيوف، وقد كانوا موضع اهتمام وتعليقات، كما ان الطريقة التي عالجتها الوزارة المشاكل في بارزان ونشاطات ماجد مصطفى الخاصة في الشمال (والتي

كانت في الحقيقه حازمة ومتجانسة) أصبحت موضع نقد حاد في الاجتماعات لمجلس النواب. ويشك وزير الداخلية في ان هذه الهجمات دليل اضافي على عداة البلاط لشخصه. وهناك كلام عن استقالة الوزارة الحالية. ٣. ان طريقة تسوية مشكلة بارزان نابعة بالتأكد من ضعف الحكومة. كما ان الوقت لم يكن مناسباً لحضور هذا العدد من رؤساء العشائر الى بغداد مع ملا مصطفى. والوزارة معرضة الى الانتقاد حول هذه النقاط. وفي الوقت ذاته سيكون من المؤسف حصول تراجع فجائي في الخطة المتعلقة بكرديستان اذ تبدو التحسينات الادارية الضرورية في المناطق الشمالية على وشك التحقيق. ٤؛ ان الوصي نفسه، سافر الى كركوك واربيل لتفقد القوات ظاهرياً، ولكن الغرض دون شك هو لتفحص الوضع العام هناك. ولذا اتوقع ان تناقش المسألة كلها بعد عودته.

٥. وفي نفس الوقت فان وضع الوزارة ككل غير مؤكد. فقد قدم توفيق السويدي استقالته كي تتمكن المحكمة العليا الخاصة والتي تم تعيينها لتوه من البت في الشرعية الدستورية لمنصب نائب رئيس الوزراء. ولم تقبل هذه الاستقالة بعد.» (٤)

وكخطوة اخرى هامة على طريق احلال السلام، تم تعيين ضباط الارتباط الاكراد، وكلهم يحملون روحاً وطنية كردية عالية، ويتوقون الى العمل الثوري من اجل حقوق الشعب الكردي. ومنهم الرائد عزت عبدالعزيز الذي كان شخصية جريئة ووطني غيور ومستعد لركوب الاهوال خدمة لشعبه، كما انه كان ينتمي الى عائلة ذات صلات قرابة مع شيخ بارزان الشهيد (عبدالسلام) اضافة الى دور هذه العائلة النضالي في الحركة الكردية التي كان شيخ بارزان محوراً لها في بداية العقد الاول والثاني من القرن العشرين وحتى استشهاده عام ١٩١٤. وعندما تعين عزت عبدالعزيز في بلى عام ١٩٤٤ كان شيخ احمد يكن له احتراماً خاصاً حتى قيل ان الرائد عزت عبدالعزيز أثر على شيخ بارزان في القيام بالانتفاضة مبكراً. (٥)

وجاء الى كردستان عدد آخر من الضباط والمثقفين منهم العقيد أمين رواندوزي، والنقيب سيد عزيز سيد عبدالله و النقيب ميرحاج أحمد و النقيب مصطفى خوشناو والنقيب مجيد علي وآخرون، وشكلوا لجنة سميت بلجنة الحرية، وكانت هذه اولى تجارب شريحة مثقفة وطنية كردية مع ملا مصطفى في العمل الثوري.

كان البريطانيون هم الذين أسسوا الجيش العراقي ودرّبوا فرق المشاة

المقاومة الكردية

والقوة الجوية على اساليب القتال. وكان هذا الجيش مؤلفاً من العرب والاكرد والتركمان والآثوريين، وكان من المفروض عليه الدفاع عن هوية لم ترسخ بعد في اربعينات القرن الماضي، اي الهوية العراقية، وحكومة بغداد المسؤولة عن تطوير وترسيخ هذه الهوية، لم تحترم هويات القوميات الاخرى التي تحكمتها، كانت حكومة تستند على لغة القهر والظلم، وحاولت فرض نفوذها بالقنابل والاحتلال كما فعل البريطانيون من خلال ال R A F في سنوات الثلاثينات في عملية «تمدين» الشعب الكردي. وأيقنت الشعوب الاخرى بأنها مهددة في ظل الحكومات العراقية المتتالية والتي يطغى عليها دوماً التعالي القومي على حساب تصغير شأن القوميات الاخرى.

لقد بقيت هذه الهوية تعاني من الضعف الى يومنا هذا، فالهوية هي نتاج قرون من الحياة المشتركة والمرتبطة باللغة والعادات والتقاليد وتقاسم الأرباح والخسائر والافراح والاتراح بصورة متساوية، ولا يمكن صناعة هويات بالطريقة التي سلكتها الحكومات العراقية، وكان ضباط الارتباط الكرد الذين تعينوا في كردستان وبالاخص في مناطق بارزان واعين للغبن الذي لحق بالشعب الكردي، سواء من البريطانيين او من حكومات بغداد. وكانوا يرون ان الوضع الداخلي والخارجي ملائم لاستغلال افراقات الحرب الكونية الثانية في تقوية النضال التحرري الكردي. كان حزب هيو مصدرراً لتحريك الصراع وادخال القيم الثورية والوطنية الكردية سواء في المجتمع الكردي المدني الهزيل نسبياً او في المجتمع القبلي القوي.

ونظراً للظروف السياسية والاجتماعية والجغرافية في ذلك الوقت، يبدو التقاء قياديين من حزب هيو وعملهم مع ملا مصطفى وهو زعيم قبلي امر املته الظروف، اذ لم يكن لدى حزب هيو مقاتلون مسلحون ولا منطقة حصينة لمقاومة هجمات الحكومة العراقية. وكان ماينقص حزب هيو، متوفرراً في بارزان ولكن ليس تحت سلطة هيو، ومن الناحية الاخرى كان ملا مصطفى يحتاج الى عناصر مثقفة تنظم الحركة وفق مفاهيم عصرية وتعبىء التأييد الشعبي في المدن لصالح الحركة التحررية وتوصل المساعدات من المدن الى معاقل الثورة في الجبال وتتصل بالجهات الخارجية. اذ لم يكن ملا مصطفى قادراً على هذه الامور، فقد رأينا مثلاً ان رسائله (٦) الى السفير البريطاني كانت محلية الطابع، كما تغيرت مطالبه الى مطالب قومية بعد مجيء ضباط هيو الى كردستان. إضافة الى ذلك فإن للطريقة النقشبندية التي كانت سائدة في بارزان كان لها قدرة كبيرة على التوحيد الفكري، وكانت قد شكلت مجتمعاً

متجانساً قوى الارادة ومتحد. وكانت نقطة الالتقاء بين الطرفين مناهضة الظلم ومحاربة الفساد ونيل الحقوق المغتصبة. وقد تولدت التحالفات نتيجة لهذه الاهداف المشتركة. ولكن هذه التحالفات لم تكن خالية من التوترات والصراعات على النفوذ وعلى كيفية ادارة الصراع واساليب القيادة وتحديد الاهداف الوطنية وقد اثرت هذه الصراعات تأثيراً سلبياً على الحركة التحررية الكردية فيما بعد.

كان الضباط الكرد الذين عينوا وفق ارشادات ماجد مصطفى احراراً في التجوال في كردستان، وصعد هؤلاء من نشاطاتهم السياسية والتنظيمية بالاختصاص لتوحيد القبائل في جبهة واحدة. وادى لقاء ملا مصطفى بهم الى توسيع افقه السياسي. كما ان ملا مصطفى هو الآخر قام بجولات في اوساط القبائل لكسبهم الى الحركة الكردية. وتزوج للمرة الثالثة في عام ١٩٤٤ من ابنة محمود آغا الزبياري .

لم تساعد الحكومة العراقية مناطق بارزان اقتصادياً وكان ملا مصطفى قد كتب الى السفير البريطاني يشكو افتراءات الحكومة ونصبها الفخاخ له، كما يشكو من استمرار حالة الفقر في قضاء الزبيار ويجدد ولائه لكل ماتأمر به الحكومة البريطانية.

لم يحصل تغير في موقف الحكومة . ارسل ملا مصطفى رسالة اخرى الى السفير البريطاني مؤرخة في ٩ / ٤ / ١٩٤٤ ، يذكر فيها: «انه نفذ اوامر السفير ووقف القتال وجاء الى بغداد ومقابل ذلك وعدت الحكومة بسحب الجيش من بلى وميركه سور واصدار العفو العام واجراء بعض الاصلاحات في كردستان حسب المذكرة التي قدمها ماجد مصطفى، ولكن الحكومة لم تنفذ اياً من وعودها....» ويضيف: « ان الحكومة العراقية تعزز حاميتها في ميركه سور وبلى وهناك شائعات عن ارسال قوات الجيش الى عقره وراوندوز. في حين لا يبدو ان في نية الحكومة اجراء الاصلاحات.» وذكر: «ان لم تمنع الامبراطورية البريطانية العظمى فاننا مستعدون لاثبات الحقيقة لهؤلاء واثبات حقنا بأيدينا.....» (٧)

يقول كريس كوتشيرا: « لقد تدهور الوضع بسرعة، فقد اشار كورنواليس في مقابلة هامة مع ولي العهد عبدالاله «انه لم ينفذ شىء جدي خلال الأشهر الماضية لتهدئة الوضع في كردستان.» ونصح الوصي بان يستغل فرصة اللقاء بالوجهاء الكرد في راوندوز عند سفره لكي يلتقي بملا مصطفى ايضاً، لكن اللقاء لم يتم بسبب الامطار او لعدم ابلاغه في الوقت المناسب.» (٨)

المقاومة الكردية

وقام نوري السعيد في اواسط شهر مايو/ايار ١٩٤٤ بجولة في كردستان مروراً بالموصل وكركوك واربيل، والقي كلمات أمام الضباط مظهراً تعاطفه مع الاكراد واهاب بوطنيتهم معلناً استعداداه لقبول بعض من مطالبهم وبالأخص تشكيل لواء كردي (محافظة). ان اظهار رئيس الوزراء نفسه كمحام للاكراد (وهو كردي من امه) كان في الواقع يرمي الى فصل العناصر الاكثر اعتدالاً في الحركة القومية عن ملا مصطفى وكانت هذه العناصر في مجرى التفافها حوله.

خلال هذه الرحلة حصلت محادثة صاخبة مع ماجد مصطفى والتي كشفت نوايا نوري سعيد الحقيقية. فقد كلف نوري سعيد ماجد مصطفى بالبقاء في كردستان لكي يسترد السلاح من البارزاني، ورد عليه ماجد مصطفى ان ذلك مستحيل طالما «ان الحكومة لم تفعل شيئاً لتهدئة الشكاوى الكردية بشكل عام» وتلا ذلك حوار مثير بين رئيس الوزراء ووزيره لشؤون الاكراد:

نوري السعيد: «ليس لذلك علاقة بالمسألة، وفي كل الاحوال لا يمكن حل

هذا هنا.»

ماجد مصطفى: «لست موافق على ذلك، ان مبادرة من هذا القبيل ضرورية وملحة، هذا لو اردنا خلق جو أكثر ثقة...كيف تتصورون ان بإمكاننا استرداد السلاح و انتم تقلون ثلاثين الى اربعين ضابطاً كردياً لكونهم أكراداً ليس الأ ؟

نوري السعيد: لا أريد أن يستياء الجيش ولا التدخل في هذه المسائل

لارضاء ملا مصطفى .

وهنا وجهه ماجد مصطفى الكلام الى رئيس الوزراء:

« ومالذي عملتم انتم للاكراد ؟ قل لي هل بنيتم قناة (ترعه) بخمسة عشر

ديناراً ؟ . كم من الاكراد حصلوا على التعليم العالي، الأ في ظروف شاقة ؟ وكم

من الاكراد ارسلوا في بعثات دراسية ؟ « الخ

ومع ذلك وافق ماجد مصطفى على الالتقاء بملا مصطفى، وحصل اللقاء

في اواسط شهر مايو/ ايار ١٩٤٤ بحضور متصرف الموصل والميجر كنج

المستشار السياسي. وفي هذا اللقاء اعرب ملا مصطفى عن مخاوفه من

القوات العراقية الموجودة في حاميته بلى وميركه سور وانه لا يثق بالحكومة

العراقية، في حين طلب متصرف الموصل اعادة ١١ رشاش و ١٧٢ بندقيه

وعودة ٢٥٠ هارب الى الجيش والشرطة. لم تؤد هذه المحادثات الى نتيجة،

لكن الميجر كنج انفرد بملا مصطفى جانباً وقال له انك تلعب بالنار، فطلب

هدنة لكسب الوقت

منه ملا مصطفى النصح فيما يجب عمله، ونصحه المستشار البريطاني، بأن يرسل عشرة من الهاربين ويعيد عشرة بنادق و يتوقف عن ارسال رسائل غير معقولة. (٩)

في الواقع استمرّت حالة اللا سلم واللاحرب هذه الى شهر حزيران / يونيو، اذ لم يكن البريطانيون يريدون حصول اضطرابات في كردستان تؤثر سلباً على مجهودات الحرب.

المقاومة الكردية

وعدود بلا تنفيذ

وعدود بلا تنفيذ

المقاومة الكردية

وعود بلا تنفيذ

في ٩ كانون الثاني ١٩٤٥، ارسل السفير البريطاني في بغداد الى الخارجية البريطانية تقريراً حول أهم الأحداث السياسية والاقتصادية في العراق خلال عام ١٩٤٤. ويتضح من هذا التقرير انه رغم الاحترام الذي كان يبديه ملا مصطفى في جميع رسائله للسفير البريطاني كان الاخير لايعير ذلك اهتماماً بل كانت نظرتة سلبية عن ملا مصطفى وفيما يلي نورد اهم ماورد في التقرير.

مراجعة سياسية لعام ١٩٤٤

المقدمة

كان عام ١٩٤٤ عاماً هادئاً بالنسبة للعراق. لقد دفع انحسار تهديد العدو وانتصارات الحلفاء الاخيرة العراقيين الى الاعتقاد بأن الحرب قد انتهت. وفيما عدا توفير المواد الاولية المطلوبة من الحلفاء، فالعراق كبقية البلدان الشرق اوسطية الاخرى لايلعب دوراً نشطاً في الحرب. والشئ الوحيد الذي يوحى باشتراك العراق في الحرب هو تواجد القوات البريطانية والهندية فيه، ومن جانب آخر فان الحرب قد تركت نتائج اقتصادية مؤلمة، فالبلاد كوحدة سياسية تمتعت برخاء متواصل، ويعود الفضل في هذا الى الاستفادة ولو بنسبة ضئيلة من نفقات الحرب البريطانية والى وفرة الحصاد. ولكن بسبب قلة الواردات وارتفاع الاسعار فقد تدهورت حالة السكان بصورة عامه. ولم تكن الاجراءات التي اتخذت للحد من هذه السلبيات مجدية. وبعد ترك الكولونيل Colonel Bayliss مدير الواردات العام لوظيفته مرت مرحلة غابت فيها الرقابة الاقتصادية.

٢. وفي مجال السياسة الداخلية فقد حلت محل وزارة نوري باشا وزارة مشابهة لها يرأسها حمدي الباجي. وباستثناء الاضطرابات المزمّنة في منطقة بارزان من كردستان، ساد النظام في الداخل. وكانت العلاقات بين القوات الملكية والسكان العراقيين هادئة. وفي مجال الشؤون الخارجية كان هناك تتبع واهتمام بمشاكل فلسطين ودول المشرق وسخط متزايد على الصهيونية والفرنسيين.

٣. لقد اثبتت العلاقات الممتازة والتي استمرت طوال العام، من جديد جدوى سياسة حكومة جلالته تجاه هذا البلد. ورغم وجود الصعوبات فان الغالبية من المفكرين العراقيين واعين من ان بلدهم لايمكنه الوقوف وحده في عالمنا المعاصر، ولذلك فالعراق يحتاج الى الحماية والمساعدة من دولة عظمى

صديقة، ومن المؤمل ان تواصل بريطانيا القيام بدور تلك القوة العظمى.

السياسة الداخلية

خلال النصف الاول من العام تركزت السياسة العراقية بشكل رئيسي على مسألة إمكانية استمرار نوري باشا تولي الادارة ام لا. اذ ظل رئيساً للوزراء منذ اكتوبر / تشرين الاول ١٩٤١ ، لكنه اضطر الى اعادة تعديل وزارته ليس أقل من تسع مرات، فقد وظف وتخلّى عن اربعة وعشرين وزيراً مختلفاً، وبدا انه يقترب من نهاية التسويات. اذ كان فريقه الوزاري الاخير الذي تشكل في ديسمبر/كانون الاول ١٩٤٣ جيداً من عدة نواح ولكنه غير شعبي البتة ولم يحظ بثقة الوصي على العرش. وكان سموه يكره بشكل خاص مجيء توفيق السويدي وعمر نظمي وعلي ممتاز في الوزارة، فقد اعتبرهم غير مخلصين له. وشعر بهذا الخصوم الشخصيون لرئيس الوزراء في البرلمان فبدأوا بتشجيع من مسؤول البلاط تحسين علي بخلق المشاكل ورفضوا الثقة بالحكومة وحرّض النواب المعارضون فواصلوا هجماتهم حتى ارهقوا الوزراء واجبروهم على الاستقالة.

كانت المناورة الاولى للمعارضة تتمثل في التشكيك في شرعية تعيين توفيق السويدي كنائب لرئيس الوزراء، وهو منصب اسسه نوري باشا. وبعد نجاحهم في اргام توفيق السويدي على الاستقالة بحكم صادر من المحكمة العليا، تشجعوا بعد ذلك في خوض المزيد من المنازلات العامة، فأمسى الوزراء مثبطوا الهمة واحسوا بأنه ليس من الانصاف ان يضعهم الوصي في الادارة وثم يوحي لاعدائهم بأنهم لا يحظون بدعمه. لقد كرر سفير جلالته تحذيره للوصي من هذا الوضع غير المستقر الذي وضع فيه الوزراء وهو مؤذٍ للادارة ونصحه إما ان يفسح لهم المجال او يأتي بأخرين محلهم، اذا كان واثقاً من أن هناك رجالاً افضل. كان سموه خلال اشهر الربيع متردداً بين هذين الخيارين في حين استمر انتقاد الوزراء من مجلسي النواب والاعيان. وتكثفت الهجمات وبلغت اوجها في الايام الاخيرة اثناء مناقشة الميزانية، فقد انتقلت المعارضة من الانتقاد الى الشتائم وتلا ذلك ضجيج وهذا ما اجبر رئيس المجلس على تعليق الاجتماع. وقدم نوري باشا استقالته موضحاً استحالة الاستمرار في الوزارة دون تأييد كامل من الوصي. وفيما بعد طلب سموه من حمدي الباججي تشكيل الحكومة. قبل الباججي الدعوة ولكن رئيس الوزراء الجديد وجد صعوبة في جمع الوزراء، فقام البلاط بمساعدته، كانت هذه الوزارة التي بدأت عملها بعد اسبوعين معروفة لدى جميع الاوساط بأنها من عمل الوصي. وقد شغل المناصب الرئيسية فيها: مصطفى العمري (وزير الداخلية) ارشد العمري (وزير الشؤون

الخارجية والتموين) صالح جبر (وزير المالية) تحسين علي (وزير الدفاع). وعرض حمدي الباججي على نوري باشا و ابراهيم كمال مناصب وزارية ولكن الاثنين رفضا العرض. كان نوري باشا بحاجة ماسة الى الراحة واستعادة صحته. واما ابراهيم كمال فانه لم يقتنع بأقل من رئاسة الوزارة.

٥. في تصريح لحمدي الباججي بعد تشكيل حكومته بوقت قصير، عبر عن اسفه لعدم اعداد برنامج كامل للوزارة بسبب الوعكة الصحية التي المت به، لكن الوزارة ستولي اهتمامها الرئيسي لثلاثة مواضيع عملية: (أ) تطوير التنظيم الاداري وتحسين عمل دائرة التموين. (ب) اتخاذ كافة الاجراءات لتوطيد «الامن والنظام» في جميع انحاء البلاد. (س) تحسين كفاءة واستقامة موظفي الحكومة. لقد خلا التصريح من الاشارة الى مشكلة كردستان. لكن حمدي الباججي قال في تصريح لاحق ان حكومته تنوي السير على نفس سياسة سلفه فيما يخص كردستان وتنفيذ برنامج شامل لتطويرها.

٦. ان الحرارة الشديدة وسط فصل الصيف تسبب اثاره الاعصاب وتُصعِد وتيرة الغضب وينجم عنها عادة ازمة وزارية، وقد حصل ذلك في شهر اغسطس آب عام ١٩٤٤ عندما عبر وزير الدفاع بعنف عن عدم موافقته مع زملائه على مشروع الجنرال رنتن Renton المتعلق بادخال الاصلاحات على الجيش. وبعد تعديل الوزارة بوقت قصير، استقال حمدي الباججي ثم اعاد تشكيل وزارته، وفيما عدا تنحية تحسين علي واجراء تبديلات معينة في المناصب فقد ظلت تركيبة الوزارة كما كانت في السابق، فوزارة التموين التي شغلها خلال بضعة اشهر اكثر من وزير تولاهها مديرها العام من خلال ترقيته، اذ لم يكن هناك سياسي معروف يقبل بمثل هذا المنصب الذي لا يحسد عليه او ان ينضم الى وزارة امسى مستقبلها في نهاية العام غير مؤكد. وحدثت تغيرات اخرى في شهر كانون الاول/ ديسمبر في وزارتي الشؤون الاجتماعية والدفاع، اذ انيطت الاخيرة الى رئيس اركان الجيش السابق، وبقي البرلمان هادئاً مع تلميحات وقت كتابة هذا التقرير، تُحيد ان يكون نوري باشا رئيس الوزراء المقبل.

٧. اما خارج البرلمان وخارج الدائرة الاوليغاركية العراقية فقد برز نشاط سياسي ونقاش ملحوظ. وانعكس هذا المنحى في الصحافة، ففي بداية العام صدرت خمس صحف عربية يومية في بغداد وهناك الآن احدى عشرة صحيفة، يؤيد بعضها الحكومة، اما المعارضة سواء في الصحافة او خارجها، فقد رمت جانباً قيود السنوات الثلاث المنصرمة والفضل يعود الى رفع الرقابة بالتدرج، وفي العديد من الحالات تبدو الكراهية القديمة والمشاعر القومية غير المسؤولة

واضحة تحت ظواهر الاشياء خصوصاً الهجمات للقوى الاخرى على «الامبرياليه». لكن بشكل عام فإن نبرة المعارضة لم تخل ابداً من الجوانب البناءة. وفيما يخص الاطار السياسي الداخلي فقد تركزت المطالب على معالجة فعالة لحل مشاكل التموين ومحاربة الفساد في الحياة العامة واللامركزية وتشكيل الاحزاب السياسية وفيما يتعلق بالمطلبين الاولين فلا احد يعارضهما. كما كان من الممكن اتخاذ خطوة هامة نحو اللامركزية لو نفذت الحكومة نيتها المعلنه في ابرام قانون معدّل لإدارة الالوية (المحافظات). ولا يبدو ان تشكيل الاحزاب السياسية سيشهد تقدماً سريعاً في بلد يعير الاهمية للأشخاص وليس للمبادئ وحيث الجماهير غير مثقفة سياسياً. لاشك ان «الشيوعيه» انتشرت خلال العام قيد المراجعة، ووزعت مناشير «شيوعيه» بشكل واسع، لكن هذه الحالات في العراق لاتعبر سوى عن منحى اكاديمي وشعور غير عملي بالإحباط تجاه الامور في حالتها الراهنة.

٨. سبق وان اشرنا الى قلة ثقة الوصي بوزارة نوري باشا، وبداً آنذاك موقف سموه قصير النظر، ولكن للوصي تأثير مرض في السياسة العراقية بصورة عامة، كما ان تعاطفه مع بريطانيا لا شك فيه وهو عادة يذعن للنصيحة كما انه مصمم على القيام بواجبه وهو واع تماماً للعديد من المشاكل التي تواجه بلاده وهذا جلي من المذكرة الطويلة التي كتبها سابقاً وهو يخطط للعمل المستقبلي للحكومة وكان يريد العمل وفق ذلك النهج. وتلك ليست وثيقة عديمة القيمة ابداً، انها تشير الى تقدم في كفاءته السياسية، وليس من طبعه إثارة الحماس الجماهيري ولسوء الحظ كان عنيداً فيما يخص كردستان كذلك في اضطراره منح الحكومة او البرلمان او الشعب قيادة جديدة تُنفذ سياسة بناءة. وفي كل الاحوال كان يُظهِر طوال العام دون كلل في الوسط الشعبي ويتفقد احوال الجيش في جميع انحاء البلاد.

٩. لقد جاء اهتمام الوصي بالجيش في وقته المناسب، فحسب الخطة التي اعدها الجنرال رنتن General Renton الرئيس الجديد للبعثة العسكرية البريطانية، فان قوة الجيش ستقلص من اربع فرق الى فرقتين مع فرقة تدريب. هذه الخطة لايتوقع لها الحصول على اعجاب جميع الوزراء، خاصة انها تقضي بتقاعد العديد من الاصدقاء القدامى من ضمن الضباط الاكبر سناً. لكنهم قبلوها باستثناء تحسين علي تحت تأثير الاخفاق العسكري في كردستان في العام المنصرم. ان اعادة التنظيم سوف تحسن معنويات الباقين من الضباط وستكون فرص ترقيتهم افضل، وهناك تقدم هام في التمارين العسكرية،

وستؤدي اصلاحات الجنرال رنتن الى توفير غذاء وملابس افضل وانخفاض في حالات المرض. كما ان القوة الجوية العراقية تحلق الآن في الفضاء اكثر من ذي قبل، وواجبها محدد وهو التعاون مع الجيش. وستبيع حكومة جلالته ثلاثين طائرة من نوع Anson ويتوقع ان تسلم في شهر شباط / فبراير من عام ١٩٤٥ .

١٠ . كان الخطر السياسي والمشاعر المناهضة لبريطانيا في الماضي يكمن في الجيش. لقد اخذ عمل الجنرال Bromilow يحظى بثقة الضباط الشباب ويعطي ثماره الآن. ان اعادة تنظيم البعثة العسكرية البريطانية من قبل الجنرال رنتن وادخال ضباط بريطانيين شباب شاركوا في الحرب له اثر ممتاز، صحيح ان هناك بعض الامتعاض ولكنه لحسن الحظ اقل حدة. ان واجب الجيش الاساسي يجب ان يكون صيانة النظام في العراق، هذا الدور موضع تقدير عام. كما ان اعادة تنظيم وتدريب الجيش الآن يفسر على انه اعداد للحملة على كردستان في الربيع.

١١ . انشغلت وزارة نوري باشا والوزارة التي اعقبتها بالشؤون الكردية، ففي شهر كانون الثاني /يناير تم التوصل الى سلام مع ملا مصطفى وتوقف التمرد البارزاني بفضل جهود ماجد مصطفى، وهو وزير بلا وزارة، كانت مهمته تتركز في اعطاء المشورة في السياسة الكردية. وكانت تسوية غير سهلة، وبدا ان المجابهاات في مناسبات عديدة خلال الاشهر التي تلت ذلك امراً متوقعا.

١٢ . نبهت المشاكل في بارزان الحكومة العراقية على الحاجة الى المصالحة ولهذا بادرت الى تنظيم الادارة في المناطق الشمالية. وفي وقت مبكر من العام ارسل رئيس الوزراء ماجد مصطفى في جولة الى المراكز الرئيسية في كردستان لإزاحة الموظفين الاكثر اساءة وأسراع في توزيع الحبوب الرخيصة المخصصة للمقرى المحتاجة. وتم تعين متصرف كفوء جديد هو الجنرال بهاء الدين نوري في السليمانية، كما اخذت الحكومة بعين الاعتبار الاسراع في خطة الانفاق على الخدمات العامة وذلك من اجل ايصالها الى نفس مستوى المناطق الاخرى من البلاد. وقد نالت هذه السياسة الحكيمة الانتقادات من قبل معارضي الحكومة في البرلمان، بالاحص من مجلس النواب، ووجد الوزراء المعنيون انفسهم دون دعم من البلاط ولم يجرؤا على التقدم في عملهم بثبات، وشعرت القبائل الكردية ان الامور تسير بصورة خاطئة وتواترت الانباء عن السخط السائد في الشمال. وحذر سفير جلالته نوري باشا والوصي من انهما سيواجهان قريباً وضعاً في غاية الصعوبة ان لم يقوما باتخاذ اجراءات كفيلة بانصاف الشكاوى الكردية المشروعة. زار بعد هذا نوري باشا المناطق الشمالية

مرتين، وخلال زيارته الثانية في شهر ايار/مايو تكلم باطمئنان الى حشود كبيرة من الضباط ورؤساء العشائر والوجهاء وحصل من المتصرفين (المحافظين) على مذكرة دقيقه تتعلق بخطط واقتراحات بتحسين الادارة والطرق والمدارس والمستوصفات واعمال اخرى تحتاجها تلك الالوية. لكن زيارات فخامته كانت سريعة جداً. وذكر له العديد من الذين التقى بهم صراحة انهم سمعوا وعوداً سخية من قبل وانتظروا تنفيذها طويلاً دون جدوى. وفي كل الاحوال فان زيارته حسنت مزاج الشعب، لكن لسوء الحظ سقطت الوزارة بعد عودته الى بغداد بوقت قصير وزالت الانطباعات الجيدة التي كان قد أوجدها.

١٣. عندما تسلم حمدي الباجي رئاسة الوزارة، جدد سفير جلالته للوصي والوزراء نصحه بتبني سياسة ودية تجاه الاكراد والعمل على تهدئة وتطوير الوضع الاجتماعي والاداري في الالوية الشمالية ومواصلة نفس النهج السابق والبدء من النقطة التي توقفت عندها الحكومة السابقة. كان التقدم بطيئاً، كما ان احلال متصرف آخر محل الجنرال بهاء الدين في شهر اغسطس ترك انطباعاً سلبياً. في حين وطد البارزانيون اوضاعهم وعززوا عن طريق التزاوج تحالفاً مع جيرانهم الزيباريين، وبهذا اصبحت سيطرتهم على التخوم الشمالية الشرقية سيطرة تامة. اما وضع الجيش العراقي فانه غير مؤهل للقيام بحملة تآديبية ناجحة، لذا على الحكومة التزام الصبر. قام الكولونيل توفيق وهبي الوزير الكردي للاقتصاد في شهر سبتمبر بجولة في الشمال لايضاح النوايا الطيبة للحكومة المركزية، لكن ما ان عاد الوزير الى بغداد، حتى طلب ملا مصطفى بدعم من اتباعه المسلحين تسليم ١٠٠ طن من الحبوب من مقرات الحكومة المحلية، ولم يكن هناك خيار آخر غير تسليمها. وفي شهر كانون الاول/ديسمبر ظهرت دلالات اضافية لعدم الاستقرار نوردها دون الدخول في تفاصيلها، كانت مطالب ملا مصطفى من الحكومة المركزية تتضمن تنفيذ الوعود التي أعطتها حكومة نوري باشا، وهي اطلاق سراح السجناء الاكراد و تعيين مندوب للاكراد يتمتع بصلاحيات واسعة في بغداد، وتخصيص «قرض زراعي» بقيمة ١٤٤,٠٠٠ دينار عراقي لشخصه. وقد مال بعض الوزراء الى القيام بعمليات عسكرية ولكن تقرر بحكمة تهيئة قوات احترازية فقط. ملا مصطفى الآن في بارزان. وفي الوقت ذاته توزع الحبوب والملابس في معظم المناطق الكردية.

١٤. تكشف هذه الازمة والازمة السابقة عن عدة محاذير عن الحالة غير المرضية في كردستان. ان ملا مصطفى قاطع طريق لايهتم بالرفاه السياسي

والاقتصادي لشعبه، انما همه الحفاظ على وضعه الاقطاعي فقط. واذا استمر على خلق المشاكل فلن يبقى سبب يجعلنا نقنع الحكومة بعدم الالتجاء الى عمل عسكري ضده، بشرط ان تؤيد ذلك البعثة العسكرية البريطانية، ولقد افهمنا الحكومة العراقية ان عليهم استشارة السفير والقائد العام لقوات البعثة البريطانية قبل اجراء هذه العمليات العسكرية، فهذا التشاور حيوي لتفادي نشوء وضع قد يؤدي الى طلب تدخل القوات البريطانية لانتشال حليفاتها العراق من المصاعب. وقد اوضح سفير جلالته الى السلطات العراقية في مناسبات عديدة ان لا تتوقع من بريطانيا المساعدة وحل مصاعبهم الكردية، طالما استمروا في تأخير تنفيذ وعودهم بالمساعدة والاصلاحيات الادارية، ولكن في كل الاحوال ينبغي الاخذ في الاعتبار انه في حالة وقوع مشكلة جدية في كردستان يصبح استخدام القوات البريطانية بصورة دفاعية امراً مؤكداً لصيانة مصالحنا.» (١)

فيما يخص تركيبة الجيش العراقي حتى عام ١٩٤٤ كان التمثيل الكردي فيه على المستوى المتوسط والمتقدم موجوداً، وكانوا كلهم يعتبرون مواطنين عراقيين، هؤلاء الضباط المنتمين سرّاً لحزب هيوا والذين تعينوا كوسطاء بين البارزانيين والحكومة العراقية، وجدوا الفرصة المناسبة في اعطاء هذا التمرد المحلي ذو الاهداف المحدودة بعده القومي. (٢)

ان سفر عزت عبدالعزيز الى بيروت والقاهرة للالتقاء ببعض أقطاب خوييون - لا توجد تفاصيل حسب علمنا عن نتائج هذه الزيارات ومن هم الاشخاص الذين التقوا بهم - وسفر مصطفى خوشناو ومير حاج أحمد الى كردستان ايران وهي تحت الاحتلال الروسي، يعكس الاهمية التي اوليت للعلاقات الكردية الكردية في الاجزاء الاخرى من كردستان.

كان المسؤولون البريطانيون والعراقيون ساخطين اشد السخط من هؤلاء الضباط الكرد، وكانوا متهمون بأنهم هم الذين جرّوا ملا مصطفى نحو المطالبة بالحقوق القومية للشعب الكردي، وهم مسؤولون عن «تغير شخصيته وأهدافه وبت الدعاية له، إذ زينو له قيادة الحركة الكردية ووسعوا طموحه.» (٣)

بقيت الحكومة العراقية منغلقة في إطار تفكيرها الشوفيني، وعبرت الحكومة عن «سخائها» للشعب الكردي باصدار قانون عفو عام عن «المتمردين البارزانيين» هكذا وكان المسألة لاتتعلق الا بعدد من الخارجين عن القانون، وان الحكومة لا تتحمل اية مسؤولية ازاء الحالة المزرية في كردستان، لقد كان منطق الاحتلال هو السائد في العقلية الرسمية لحكومة بغداد. فبالنسبة لهم ان قانون

العفو كفيل بحل المشكلة في كردستان. وصدر قانون العفو هذا في ٢٥ / ٤ / ١٩٤٥ بتوقيع كل من الوصي، رئيس الوزراء حمدي الباججي، وزير الداخلية مصطفى العمري، وزير العدل أحمد مختار بابان، وزير الدفاع اسماعيل نامق. وتقول برقية ارسلها السفير البريطاني من بغداد الى لندن مؤرخة في ٣ / ٥ / ١٩٤٥:

«.....»

٢. ستلاحظون ان المادة الاولى تستثني اعضاء القوات المسلحة في الدولة من العفو، فهم يعاقبون وفق قوانين خاصة تتعلق بهم، هذه المادة ادخلتها اللجنة، وفي نظري انها هامة جداً، ذلك ان شمول العفو العام للهاربين من الجيش والشرطة سوف يضعف الانضباط داخل القوات المسلحة، لقد بذلت كافة الجهود لفصل الضباط المرتدين الذين التحقوا بملا مصطفى عنه، حيث انهم هم الذين يوحون اليه مايجب عمله وهم عباقرة الشر. (٤) في حين يشير الزعيم الركن حسن مصطفى الذي حارب البارزانيين الى النقلة النوعية التي حصلت في موقف ملا مصطفى جراء تأثير هؤلاء الضباط عليه فيقول: «ويتحريض من هؤلاء (يعني الضباط الكرد) ارسل ملا مصطفى في ١٧/١٠/١٩٤٤ كتاباً الى وزير الداخلية باسطاً فيه مطالبه التي كانت في الحقيقة مطالب دعاة القضية الكردية وكان واضحاً من صيغة الكتاب ان كاتبه لم يكن ملا مصطفى بل أحد الضباط الملتحقين به وهو الرئيس الاول المتقاعد عزت عزيز.» (٥)

وكان من بين الداعين الى استخدام لغة القسر مع الشعب الكردي هو مصطفى العمري نفسه، وزير الداخلية. كانت حكومة الباججي متشككة في نوايا البريطانيين في كردستان، ويقول السفير البريطاني في بغداد:

«عدد من موظفينا تلقوا تساؤلات في هذا الامر من وزير الداخلية ومن ماجد مصطفى، وزير سابق بلا وزارة تولى مسؤولية الشؤون الكردية في وزارة نوري باشا الاخيرة، انه بالتأكيد قلق فهو يريد اظهار ولاءه التام للملك وللحكومة. وسألني رئيس الوزراء نفسه عن موقفنا، من الطبيعي انني لم اقدم له تعريفاً شاملاً لموقفنا، لكنني اقتصر على القول انه لتفادي وقوع مشاكل ينبغي تبني موقف ينم عن رحابة صدر....» (٦)

كانت الحكومة البريطانية قلقة من مغبة سياسة تسلكها الحكومة العراقية ينجم عنها تعاطف الكرد مع روسيا (٧). فقد كانت السلطات العراقية

والبريطانية على علم ببعض الاتصالات الكردية التي اجريت عبر الحدود الايرانية مع الروس، لكنهم لم يعرفوا ماهية ونتائج هذه الاتصالات. (٨) ويقول السفير البريطاني في برقيته:

«٦. تقدر الآن الحكومة العراقية بقاء كردستان ضمن العراق الحالي، ومن جانبهم يرى الاكراد ان مصالحهم تقع في نفس الاطار. ماجد مصطفى تحدث مع المستشار الشرقي بقليل بعد مقابلتي لرئيس الوزراء، كان واضحاً في اشارته، إنه هو واكراد آخريين متعاطفين كاملاً مع الوحدة العربية، ووضحوا هذا من خلال الحديث الذي دار حول قرار تبني البروتوكول، وان المستقبل الوحيد لأكراد العراق هو ان يبقوا مواطنين عراقيين مخلصين. وقال لو تشكلت كردستان مستقلة يوماً ما، فسيكون الواجب الاول لحكومتها انشاء قوة بوليس لمعاقبة اناس مثل ملا مصطفى وشيخ أحمد.

٧. وفيما يتعلق الامر بموظفيننا، فقد كررت من جديد نصيحة سلفي، ان على اعضاء الهيئة الاستشارية السياسية في الشمال عدم الاهتمام بالسياسة المحلية او بالخلافات الشخصية، وعليهم بذل كل ما في وسعهم لمكافحة التطور المستمر لعقدة الاقلية. وعليهم النظر الى الاكراد مع العرب والأتوريين واليهود كمواطنين عراقيين، وعليهم ان لايعيروا اهتماماً الى اولئك الذين ينصبون انفسهم زعماء، وان ينصحوا كل من لديه شكوى ان يقدموها عن طريق القنوات الدستورية، ولايقحموا الدعم البريطاني في الازمات سواء استحققت ام لا. انني على يقين ان هذه النصيحة هي نموذج في الكمال، ففي الحقيقة لايمكن تسوية الشكاوى عن طريق الحكومة دائماً. لكنني اعتقد في الوقت ذاته ان تطبيق هذه السياسة المتزنة افضل واجدى على الأمد البعيد، وعلينا بذل كل ما لدينا من طاقة لتشجيع الإنصهار.

٨. ولإيجاد التوازن في الطرف الآخر من الميزان، ارى انني مع جميع موظفي السفارة في بغداد، أن نعمل بأقصى جهد لبحث الحكومة في منح الاكراد مجالاً في حقل التربية والخدمات الاجتماعية في كردستان وحصّة منصفة في الوظائف الحكومية. ان تطوير وصيانة المصالح الكردية يجري هنا في العاصمة وليس في اوساط العشائر والقرى في الشمال.

٩. يستشف من استفسار رئيس الوزراء وزملائه ان هناك تخوف من ان لبريطانيا مصالحها في كردستان، هذه الشكوك موجودة كما أظن لسنين عديدة، لذا اقترح انه مادام رئيس الوزراء قد طلب مني رأياً في الموضوع، أن استغل اول فرصة لاعطائه ضمان شفهي فيما يخص الفقرة السابقة، ولكي

يتأكد من ان سياستنا المتعلقة بالاكرد ومسائل اخرى هي متجانسة تماماً مع مصالح هذه المملكة ومع مصالح جميع قاطنيها دون تمييز، سأكون ممتناً لو اعلمتموني بموافقتكم.» (٩)

كان قرار العفو العام عن البارزانيين مبتوراً، اذ ان البارزانيين الذين كانوا في سلك الشرطة وحيث الفضل يعود اليهم في احتلال المخافر في جميع مناطق بارزان بسهولة تامة، كانوا مستثنين من العفو، اضافة الى الضباط الاكرد، ناهيك عن اي تجاوب مع المطالب الوطنية الكردية. لقد كانت الهوة سحيقة بين الاكرد والحكومة العراقية، وكانت الحكومة واثقة من ان بريطانيا لن تمنع من استخدام الجيش في كردستان.

لقد تأخر قانون العفو الى حين إستكمال الاستعدادات العسكرية. والمدعش انه لم يحصل اية مراجعة لِعِبَرِ التاريخ واستقاء الدروس منه، فقد اثبتت الحملة العسكرية السابقة على بارزان فشلها ولم يجد ذلك في تثبيت سلطة الحكومة العراقية. وهكذا اعيد تكرار الحلول الفاشلة من قبل الطبقة الحاكمة في بغداد. تحشدت القوات العراقية مصحوبة بعدد من أعوات العشائر كمرتزقة على ثلاثة محاور العمادية - عقرة - راوندوز . والحجة هي دائماً ادخال المدنية الى المناطق المتخلفة عن طريق بناء مخافر اضافية ومضاعفة قوات البوليس في كافة أراضي بارزان.

أعلنت الحكومة العراقية في ١٩ / ٨ / ١٩٤٥ الاحكام العرفية في لوائي أربيل والموصل.

بالرغم من تطور الاحداث نحو المجابهة الحتمية بين الطرفين، فقد دفع مقتل ولي بگ داخل مخفر ميركه سور في ٢٥ / ٨ / ١٩٤٥ بالعلاقة مع الحكومة الى أعلى درجات التوتر. وكان ولي بگ قائداً يتمتع باحترام وتقدير كبيرين في الوسط البارزاني ومن المقربين لشيخ بارزان. فاصبحت المجابهة امراً لامفر منه. ولاتزال الامور غامضة فيما يتعلق بحادث مقتل ولي بگ. وبعد مقتله استولى البارزانيون على المخفر وبدأت عملية محاصرة المخافر الاخرى في أراضي بارزان. وقامت الطائرات العراقية بقصف القرى البارزانية.

وابرق السفير البريطاني الى لندن:

« فيما عدا قصف بلي للمرة الثانية يوم امس، لم تحصل خلال الـ ٤٨ ساعة

الاخيرة تغييرات كبيرة في الوضع البارزاني.

٢. بدا لي رئيس الوزراء العراقي متفائلاً بشكل عام عندما قام بتهنئتي هذا

الصباح نيابة عن الحكومة بهزيمة اليابان، وكان ممتناً لعدم كسب المتمردين

الدعم الذي كانوا يتوقعونه من القبائل.

٣. انتهزت الفرصة لاعلام فخامته بأنني حريص جداً على تفادي إقحام أي من العناصر البريطانية، ولهذا الغرض فقد اعطينا الاوامر لأعضاء الهيئة الاستشارية البريطانية لتقليص جولاتهم وعدم الابتعاد عن مراكزهم. وأعرب الوزير عن سروره لسماع ذلك، لأنه امر في غاية الأهمية بالنسبة للرأي السياسي الداخلي من ان هذا العمل متروك في ايدي الحكومة العراقية. ان هذا يتناسب كلياً مع سياسة السلطات البريطانية الهادفة الى عدم التدخل وانها غير ملزمة.» (١٠)

الواقع ان موقف الحكومة البريطانية من أحداث كردستان، كان مشوباً بالحدز والخوف من العواقب. اذ كان البريطانيون يخشون من انتشار بقعة الانتفاضة الى أجزاء اخرى من كردستان العراق. وان تؤدي الى مشاركة اكراد تركيا وايران والمطالبة بكردستان الكبرى. كما انهم كانوا لا يريدون ان تصبح الاضطرابات في كردستان وسيلة للتغلغل السوفيتي الى المنطقة. وقد كان الامريكيون ايضاً مهتمين بأحداث بارزان من زاوية الدور السوفيتي فيها. كما حرصت الحكومة العراقية على اعلام الممثلة الامريكية في بغداد بالتطورات في كردستان. ففي لقاء في ١٤ اغسطس ١٩٤٤ ، بين ارشد العمري والسفير الامريكي Loy W. Henderson في بغداد، أشار الوزير العراقي الا انه يجب النظر الى الوضع في كردستان من زاوية بعده الدولي وليس فقط كمشأ محلي. وزاد، انه اذا ما تشكلت كردستان مستقلة فإن ذلك سيؤثر على سلامة وحدة الاراضي العراقية والتركية والایرانية، وقد يكون هذا موضع اهتمام القوى العظمى بدرجات متفاوتة مثل بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية. (١١)

وذكر ارشد العمري ان القومية الكردية تشكل عائقاً امام الوحدة العربية، وان القومية الكردية تمر بمرحلة اختبار هامة في اتجاهين، فمن جهة يستخدم زعماء القبائل فكرة القومية لتعزيز نفوذهم على حساب المجموعات الاخرى. اما الاتجاه الثاني فيتمثل في المثقفين الكرد المهتمين برخاء الشعب الكردي وایجاد كردستان مستقلة، هذه المجموعة تتألف من الشباب المتعلم العازم على انتزاع القوة من الزعماء القبليين. وهناك تعاون بين زعماء القبائل والمثقفين الواعين لإنقاذ كردستان من الحكومة المركزية. (١٢) لقد تسارعت الاحداث وأصبحت المجابهة أمراً لا مفر منه.

المقاومة الكردية

انهيار المقاومة

انهيار المقاومة

المقاومة الكردية

انهيار المقاومة

يقول تقرير بريطاني مؤرخ في شهر اغسطس/آب ١٩٤٥ ، أرسل الى لندن من بغداد :

١. يظهر من الوضع الحالي ان ملا مصطفى يتحدى الحكومة بشكل علني. وان السبب الرئيس لذلك هو بالتأكيد تصميم شيخ بارزان على رفض الحكم العراقي في منطقتة.

٢. بعد عودة عائلة الشيخ الى بارزان في عام ١٩٤٤ ، اثار تمرد ملا مصطفى الناجح، لم يكن هناك بد من توخي البارزانيين نوعاً من الحكم الذاتي وقد تمتعوا بذلك الى حين نفيهم كما تمتع البشدر وعشائرالشمر بحكم ذاتي مماثل . ولكن الحكومة لم تكن مستعدة لقبول ذلك.

٣. وربما كان السبب المباشر للوضع الحالي، هو قرار الحكومة بإعادة بناء مخافر البوليس. لقد اثار هذا الموضوع متصرف اربيل سعيد قزاز في ٣٠ آذار/ مارس ١٩٤٥ ، ورفض ملا مصطفى المشروع. لكن الحكومة واصلت تنفيذ القرار. ويمضي التقرير الى القول: « احتل اسعد خوشفي مركز بارزان في ٨ / ٨ / ١٩٤٥ » وقد قررت الحكومة العراقية ان يتحرك لواء عسكري في ١١ / ٨ / ١٩٤٥ الى بافستيان وراوندوز. اما التقدم نحو بارزان فيبدأ بعد ١٥ الى ٢٠ يوماً. وفي هذا الوقت كانت الحكومة العراقية تقوم بحملة دعائية مدروسة لاقناع الاكراد بأن الحكومة تعمل على صيانة مصالحهم ولا تكن لهم العداوة وان تحقيق الامن والنظام ضروري لإزدهارهم. وكان ملا مصطفى في ١٣ / ٨ / ١٩٤٥ خارج بارزان وربما في مريبا. (١)

يذكر محسن صالح آميدي وهو شاهد عيان: «أن الوضع تدهور في العمادية ولم يتمكن والدي صالح من البقاء، ونظراً لعلاقتنا التاريخية ببارزان فقد كنا متهمين دوماً بدعمها. فتركنا (آميدي) برفقة عدد كبير من الأنصار ضمنهم خليل شعبان واسرته والشاب نعمان أمين آميدي، وتوجهنا الى قرية (ره شاقا) في شهر تموز من عام ١٩٤٥. وهناك لاحقتنا قوات مشتركة من المرتزقة والقوات الحكومية وقصفت القرية من الجو. ثم تركنا القرية الى (كه لي ره شاقا) وادي ره شاقا وعبرنا الى الطرف الآخر من (پرا كه ليا) (معبر كه ليا) وهدمنا المعبر بعد عبور الجميع ، ضمنهم أطفال ونساء ووصلنا قرية (جه لكى) على الزاب، ثم توجه الطابور في اليوم التالي نحو قرية (سيرى) والى (كه لي بالندا) وادي بالندا، حيث أراضي بارزان ووصلنا قرية (تيلي) البارزانية ثم

أخيراً الى قرية (شنكيل) وكانت الطائرات تتعقب سيرنا وقصفت القرية شنكيل، لكن دون وقوع خسائر في الارواح. وأخيراً انتقلنا الى موقع في سفح جبل شيرين المطل على بارزان. إذ كان شيخ بارزان يرغب في ان يكون حجي طه قريباً منه، وكان بمثابة مستشار له. وتولى هو مع صالح شقيقه مهمة الدفاع عن محور عمادية. بالندا. بارزان، وكانت قواته قد تمركزت على الضفة الشرقية لنهر (روي شين) وتمكن من صد عدة هجمات مشتركة شنها الجيش وقوات الشرطة والمرتزة من العشائر الكردية.»

و تولى ملا مصطفى مع صهره محمود آغا الزبياري محور عقره - دينارته - بارزان، كما تولى شيخ سليمان قطعاً آخراً في نفس الجبهة. كذلك تولى محمد صديق جبهة راوندوز. وكان الضباط الكرد موزعين على المحاور الثلاثة. كانت قوات الشرطة قد تحصنت في مخفر بلي، لكنها كانت تعاني من حصار بارزاني.

كانت قيادة الجبهة الكردية في هذه المرة خليطاً غير متجانس من قادة بارزانيين و ضباط هيو القوميين وعدد من الأغوات الإنتهازيين مع أتباعهم. بلغ مجموع القوات العراقية المهاجمة ١٤٠٠٠ ألف ضابط وجندي عدا قوات العشائر المتعاونة مع قوات الحكومة (٢). وتقدمت قوات الجيش في جبهة راوندوز في ٢٥ / ٨ / ١٩٤٥ لكنها باءت بالفشل الذريع جراء المقاومة العنيدة للثوار الذين غنموا اسلحة وعتاد جديد، وتراجع الجيش لكي يعيد الهجوم بعد عدة ايام.

كان رئيس البعثة العسكرية البريطانية في العراق والمفتش العسكري العام للجيش العراقي الجنرال رنتون يعارض خطة الحكومة العراقية، لذلك رفض تقديم اي اسناد جوي بريطاني أوإشراك أي من ضباطه البريطانيين في معاونة الجيش العراقي.

وتقول برقية من بغداد الى وزارة الخارجية في لندن مؤرخة في ٨ / ٩ / ١٩٤٥: «لقد جابه اللواء العراقي في دينارته مصاعب جدية، وبلغت خسائره حوالي ١٦٠ شخصاً. كما خسرت ثلاثة مدافع جبلية، ومن المفروض ان ينسحب لعجزه عن المحافظة على خطوط مواصلاته.

٢. لايزال رتل راوندوز متوقفاً بالقرب من مزني، في حين استطاعت كتيبة شرطة السيطرة على الزاب، لكنها لم تتمكن من التقدم اكثر من ذلك الاً باسناد عسكري. ويقال ان حوالي ٢٠٠٠ من رجال القبائل يخوضون القتال حالياً.

٣. هذه الظروف المؤسفة وهي نتيجة اخطاء تكتيكية كبيرة بما في ذلك

ضعف مضطرب في حراسة الجناحين الذين فشلوا في حماية تقدم الخط الرئيسي، واقترح الجنرال رنتون انه بعد انقاذ لواء دينارته في جبهة عقره، يتوجب على اللواتين في قطاع راوندوز السيطرة على الجسر الحديدي في مزنى وشم الاحتفاظ بدفاع قوي لكسب الوقت اللازم لتعزيز وتدريب واعادة تنظيم القوات. وأضاف ان لم تتم هذه الاجراءات حتى منتصف شهر اكتوبر/ تشرين الاول فلا يجوز البدء بتحريك جديد لاحتلال بارزان حتى الربيع القادم. ونصح ايضاً اجراء تغييرات هامة في القيادة الميدانية العراقية.

٤. سبب كل ذلك الكآبة والقنوط في الوسط الوزاري، وسنرى ان كانوا سيواجهون الحقائق أم سيمنون بالمزيد من الفشل جراء تبني آمال يائسة لأغراض سياسية.

٥. ما يثير الدهشة هو انني تلقيت معلومات تفيد بأن معنويات الجنود العاديين مرضية، في حين تشكو عوائل الضباط في بغداد علناً من الخسائر والمقتال الدائر في الشمال في وقت ينعم العالم بالسلام» (٣)

لابد لنا من ذكر التضحيات التي قدمها البارزانيون، فقد قدموا حتى لقمة عيش أطفالهم الى المقاتلين، كانت النساء البارزانيات تعملن ليل نهار من اجل سد حاجات الجبهات للطعام ويرسلن النزر اليسير مما يمكن من الارزاق والقطعان للمقاتلين. ولم يبيغن أي تعويضات. ذلك بالإضافة الى تواجد مقاتل واحد او أكثر من كل عائلة في الجبهات. كان الناس البسطاء من البارزانيين هم الذين يتحملون عبء المعارك من جميع النواحي.

لقد وجد البارزانيون صعوبة في احتلال مخفر بلى لأنه يقع في سهل منبسط وفيه عدد كبير من قوات البوليس وحيث لا تبعد بلى عن بارزان اكثر من ٧ كيلومترات، كان المخفر مصدر تهديد للأمن في المنطقة. اذ كان الموظفون في المخفر على اتصال يومي بالقيادة العسكرية ويزودونها بالأخبار. وقد قام السلاح الجوي الملكي العراقي في ١٣ / ٨ / ١٩٤٥ بقصف مبنى دائرة بريد بلى مستخدماً ثلاث مقاتلات وكان الثوار قد احتلوها. وأزاء هذا الركود قام آثوريو قرية بيديال العريقة بصنع مدفع. قام بذلك الأخوان سوره وشمو وأحضرا المدفع المصنوع محلياً الى جبهة بلى، لكنهما نسيا ربط المدفع فأندفع مع القذيفة الى وسط السهل المنبسط. وبسبب هذا المدفع بقي هذان الاخوان حوالي ١١ عاماً مشردان في الجبال حتى القضاء على النظام الملكي في عام ١٩٥٨. (٥)

بعد هزيمة الجيش في الهجوم الاول في الجبهات الثلاث، استولى الثوار

المقاومة الكردية

على عدد من المدافع. وإذ لم يكن بين الثوار من يعرف استخدامها، لحسن الحظ بادرالرائدعزت عبدالعزیز الى تهيئة احد المدافع ونقله الى بلى. وقبل اطلاق القذيفة أنذر اولاً قوات البوليس المتواجدة داخل المخفر بالاستسلام حقناً للدماء، ولكنها ردت بالاستهزاء وهنا اطلق عزت عبدالعزیز ثلاث قذائف من المدفع، تعالت بعدها أصوات الاستسلام. فتم احتلال المخفر والاستيلاء على ما فيه من غذاء وعتاد. ثم نقل المدفع الى موقع لايزال يعرف بـ (دارا تازا) على محور عمادية. بارزان لقصف القوة السيارة في أطراف (سيربي) حيث تكبدت على أثر القصف القوات الحكومية بالخسائر.

كانت السلطات العراقية قلقة جداً من تأثير استخدام المدافع التي استولى عليها البارزانيون في جبهتي عقرة وراوندوز، وكانوا على علم بإمكانية استخدامها من قبل الضباط الكرد.

وفي مراجعة اسبوعية حول تطورات الوضع العسكري في الجبهات يشير التقرير البريطاني الى مايلي:

« إضطر جزء من الرتل في عقرة على البقاء في دينارته، وزود بالمؤونة جواً، واستطاع رتل آخر الوصول اليهم ونقل الجرحى. كما ان رتل البوليس في محور العمادية والذي احتل مركز سيربي في ٩ / ٩ تلقى أمراً بإخلائه في حالة تعذر البقاء فيه. وفي جبهة راوندوز لم تستطع القوات الحكومية التقدم. واستخدم المتمردون المدافع التي استولوا عليها ضد مركز بلى الذي استسلم في ٩ / ٩ بعد نفاذ كل ذخيرتهم. وتم اخلاء مركز بوليس بيراكه يره بمساعدة رجال القبائل. نصح رئيس البعثة العسكرية البريطانية إنقاذ الجيش العراقي من المحنة في دينارته والبقاء في حالة الدفاع الاستراتيجي حتى الربيع القادم، حيث يمكن للقوات العراقية ان تشن عمليات هجومية محلية. فيتدهور وضع المتمردین بسبب حرمانهم من المراعي الشتوية واضطرار العوائل على البقاء تحت طقس بارد دون توفر وسائل الوقاية.» (٦)

بدأت الاحزاب الكردية بإرسال مذكرات الى السفارات الاجنبية تندد بالحرب التي تشنها الحكومة العراقية في كردستان، وكان الحزب الشيوعي العراقي قد اصدر بياناً ندد فيه بشدة بالحملة الظالمة على كردستان، ووزع البيان باللغتين العربية والكردية، لقد كان الحزب الشيوعي أكثر الاحزاب تنظيماً وتغلفلاً في صفوف الجيش العراقي وقد وزع هذا البيان في معسكر الرشيد وعلى عمال السكك الحديدية وموظفي الادارة المدنية. كان الوضع العسكري ميؤساً منه الى حد ما. لكن وزير الداخلية كان في

الخفاء يحاول إقناع بعض رؤساء العشائر الذين كانوا مع الثورة الكردية بالعودة إلى صف الحكومة، ضمنهم محمود آغا الزبياري، صهر ملا مصطفى. ونتج عن ذلك تغير فجائي كبير في الوضع العسكري لصالح القوات الحكومية. حصل هذا التطور بين الفترة من ٢٠ / ٩ إلى ٣٠ / ٩ / ١٩٤٥ .

ويذكر تقرير بريطاني في سياق مراجعة أحداث الاسبوع :

« تحسن الوضع في جبهة بارزان ويعود ذلك الى حد كبير الى دور رجال القبائل المواليين. أما في جبهة راوندوز فالجيش يتقدم ببطء ويعيد في تقدمه اصلاح الطرق. وفي جبهة عقرة يتقدم الجيش نحو كربيش F67 بعد تطهير L و C بمساعدة العشائر الموالية. وانسحب المتمردون الى سه رى بيرس F67 . وكانت الخطة تتضمن قيام الزبياريين المواليين بمهاجمة المتمردين من الخطوط الخلفية . وقد قبلت الحكومة العراقية استسلام محمود آغا الزبياري في ١٤ / ٩ . شرط ان يطرد المتمردون من منطقتهم . وقد سعى السلاح الجوي العراقي للعثور على المدفع الذي استخدم ضد مركز بلى .» (٧) - وهو المدفع الذي استخدمه الرائد عزت عبدالعزيز في قصف المركز واستسلام جميع رجال البوليس فيه .

ويقول السفير البريطاني في بغداد في برقيته المؤرخة في ٢٥ / ٩ / ١٩٤٥ :
«عندما التقيت امس بالوصي، اعرب عن ثقته بالعمل العسكر ، في حين كان سموه كتوماً فيما يخص النواحي السياسية للوضع وقال انه يتفهم مشاغل الحكومة معبراً عن سروره بالطريقة التي استخدمها وزير الداخلية في لحظة حساسة في جرّ الزبياريين الى صف الحكومة اضافة الى عشائر اخرى.» (٨)
كان وزير الداخلية يعرف نقاط الضعف لدى الأغوات الاكراد فأستخدم بنجاح سلاح المال في كسبهم. وقد وضع هؤلاء رجالهم في خدمة الحكومة العراقية وتقدموا للهجوم على مواقع الثوار بينما كان الجيش العراقي يتابع الزحف خلف قوات المرتزقة الكردية. لقد كان حرص الأغوات على نفوذهم وكسب المال من خلال الارتزاق أقوى بكثير من المشاعر القومية والوطنية لديهم. لقد واجه الأغوات الكرد وضعاً يمكنهم اللعب على الحبلين حسب مقتضيات مصالحهم. وقد اصبحت هذه احدى اهم السمات السياسية في كردستان الجنوب - العراق - في القرن العشرين بأكمله. فهؤلاء الاغوات كانوا يجدون الحظوة سواء لدى الحكومة العراقية أو القيادة الكردية التي كانت هي الاخرى حريصة على حمايتهم لتستند عليهم في بقائها ولقلة ثقته بالشرائح الأكثر ثورية في المجتمع الكردي. ولم تكن القيادة الكردية قيادة تدافع عن الفلاحين

المقاومة الكردية

ضد مستغليهم، كما سنرى، رغم ان غالبية التضحيات كانت من نصيب الطبقة الفلاحية الكردية. وهذا يفسر بقاء طبقة الاغوات في كردستان الجنوب الى يومنا هذا محتفظة بنفوذها لدى الحكومة ولدى القيادة الكردية على حد سواء. اصبحت المعارك تدور بين الاكراد انفسهم على نطاق واسع اثر التحاق محمود آغا الزبياري بقوات الحكومة و تتابعت الالتحاقات وانهارت الجبهات الكردية بسرعة.

في جبهة راوندوز اصيب محمد صديق شقيق شيخ بارزان بجراح خطيرة وأثر ذلك على معنويات المقاتلين، والتحق الشاب صادق، وهو ابن شقيق شيخ بارزان بالجبهة ليحل محل عمه الجريح.

اما في محور العمادية . بارزان التي كان يتولاها حجي طه آميدي وشقيقه صالح فكانت المعارك مستمرة. فتقول برقية سرية مؤرخة في ٢٦ / ٩ . الى وزارة الحرب البريطانية:

« العراق . الوضع في بارزان. تم احتلال بيراهه پره من قبل العشائر المؤيدة للحكومة. يتقدم الجيش عن طريق سه رى بيرس الى بيراهه پره والى نهر الزاب. ويقال ان شيخ رشيد لولان تلقى تهديدات من زعماء الهركي ولم يقيم بما كان متوقعا منه في التحرك نحو ميركه سور. وتفيد التقارير ان هناك تركيز قوي في جبهة سيرى . عمادية وقد تم تعزيز قوات البوليس، وحصلت مناوشات فقط في هذه المنطقة. وحصل قتال بين العشائر الموالية للحكومة والمتمردين في نبروه وريكان. القتال هناك مستمر بين قوات محدودة العدد.» (٩)

كانت تلك الجبهة التي يتولاها حجي طه آميدي وشقيقه صالح، وهؤلاء لم يتركوا الجبهة الا بعد ان انهارت جميع الجبهات الاخرى وصدرت لهم الأوامر بالتخلي عن القتال والنزوح الى ايران.

وتفيد برقية اخرى مؤرخة في ٣ / ١٠ / ١٩٤٥ موجهة من بغداد الى وزارة الحرب :

« العراق . الوضع في بارزان. لقد انسحب المتمردون من سلسلة بيرس وعبروا نهر الزاب نحو بارزان. وتفيد التقارير انه تم احتلال بلى من قبل قوات البوليس والقوات غير النظامية. واحتل شيخ رشيد مرتفعات قلندر. كما احتل شيخ رقيب السورجي جسر خلان.» (١٠)

وفي ٧ / ١٠ / ١٩٤٥ تم احتلال بارزان للمرة الثانية من قبل الجيش العراقي.

ويعلق الصحفي الفرنسي على الانتصار العسكري للعراقيين بما يلي:

« ليس بوسع العراقيين المباهاة بانهم هزموا البارزانيين بقوة السلاح إذ كما يقول الجنرال رنتون « ان أمن الجيش العراقي وسلامة مواصلاته تعتمد كلية على ولاء العشائر المتحالفة مع الحكومة. » (١١)

لابدّ هنا من الإشارة الى المقاومة البارزانية الأولى ضدّ عملية الاحتلال البريطاني والعراقي المشترك عام ١٩٣٢ والحملة العراقية في عام ١٩٤٥ لإعادة احتلال بارزان. ففي الحملة الاولى ضد شيخ بارزان كان دور القوات البريطانية برأ وجواً كبيراً وحاسماً في حين كان التدخل البريطاني قليلاً في الحملة الثانية إذ كان الامر متروكاً للعراقيين وحدهم. كانت المقاومة البارزانية الاولى ضد قوات الامبراطورية البريطانية والجيش العراقي تجسيدا لقوة الطريقة النقشبندية والتراث البارزاني التاريخي المناهض للظلم، وكان البارزانيون وحجي طه آميدي ورفاقه يشكلون كتلة واحدة ولم يكن معهم آنذاك من خارج بارزان آخرين، والجميع كانوا مصممين بإخلاص على المقاومة. في حين كانت قوات المقاومة في بارزان في عام ١٩٤٥ خليطاً غير متجانس مؤلف من الأغوات الانتهازيين وأنقلب هؤلاء الى صف الحكومة من أجل المال كما كان الحال مع محمود آغا الزيباري. ومما يجدر ذكره أن الحملة البريطانية والعراقية المشتركة الاولى ضد شيخ بارزان إستغرقت ٩٩ يوماً في حين لم تستغرق العمليات العراقية في عام ١٩٤٥ ضد مناطق بارزان غير ٤٦ يوماً.

المقاومة الكردية

نزوح وموت جماعي

نزوح وموت جماعي ودفاع عن الجمهورية الكردية

المقاومة الكردية

نزوح وموت جماعي ودفاع عن الجمهورية الكردية

بدأ النزوح الثاني للبارزانيين نحو كردستان - ايران - النزوح الاول كان في ١٩١٣ إبّان عهد الشيخ عبدالسلام - وأخذ البارزانيون بإخلاء قراهم على عجل.

ينقل لنا كاظم شاندري صورة حية عن مسيرة آلاف الناس من شيوخ ونساء واطفال عبر الجبال نحو شرق كردستان - ايران - فيقول:

« انهارت جبهة بيرس، وأدى ذلك الى نزوح العوائل عن مناطق نزار عبر النهر الى الضفة الشرقية. فأكتظت الممرات الجبلية بطوابير طويلة من العوائل والقطعان. وعندما علمنا بتقدم المرتزقة والجيش نحو قرية شاندر، قررنا المغادرة وترك كل مانملك ورائنا. كنا عائلة مؤلفة من ثمانية أشخاص، ولم يكن لدينا غير حمار واحد لنقل بعض الأرزاق على الطريق الطويل. وكانت هنالك عوائل اخرى لاتملك حيواناً للنقل، فحملوا بعض الأرزاق على ظهورهم، ولم يبقى سوى عدد قليل من الناس لايقوون على السير طويلاً. فأتجهت مئات العوائل نحو نهر كه كله، وكلما تقدمنا الى أمام ازداد تراحم الطوابير الطويلة الآتية من نزار، به روژ، مزوري و دولري. كانت مسيرة عمتها الفوضى، ففي المرتفعات كانت الصخور تتدحرج تحت ارجل المارة والدواب بسبب التراحم وضيق المسالك فتتساقط على الممرات السفلى، ويؤدي الى جرح عدد من النازحين، كنا في مسيرتنا نصعد ونهبط، وكان الاطفال يتيهون ويتطلب العثور عليهم وقتاً طويلاً، وما ان يعثر على هؤلاء حتى يتيه آخرون. كنا والقطعان هدفاً سهلاً لنيران الطائرات العراقية التي كانت تتعقبنا بشكل متواصل. اتذكر ان زوجة عمي ضاعت ولم نعثر عليها الا بعد ثلاثة ايام، اذ كنا في حركة دائمة بطيئة وزحام هائل في الممرات الجبلية الضيقة اضافة الى آلاف رؤوس القطعان من الماعز والأبقار. لأظن ان الذين شاركوا في هذه الهجرة سينسوها حتى آخر لحظة في حياتهم. فعلى سبيل المثال، كان العجوز ملا كانيا لنجي يرافق زوجته وبعد مسيرة طويلة، جلسا ليستعيدا بعض النشاط، فتمددت زوجته على حافة الطريق من التعب، وبعد برهة قال لها الزوج هيا لنعاود السير، وظن انها ستلحق به، لكنها كانت قد فارقت الحياة، إذ إكتشف الآتون من بعدهم انها ماتت عندما حاولوا إيقاظها فدفنوها على قارعة الطريق.

نقلنا المدفع الذي استولينا عليه في جبهة دينارته بصعوبة بالغة حتى

اطراف كانياره ش على ظهر البغال، لكن استحبال حملته عبر الممرات الجبلية الوعرة، فأخفي بين اخايد الصخور، إلا أن المرتزقة عثروا عليه واعادوه الى الحكومة العراقية.

سارت الطوابير على سهل (به رازكر) والى (كانياره ش) ثم الى (سيروزه روا) والى قرية (آرى) ثم الى منتجعات (كورافا) وكنا نسير بمحاذاة الحدود التركية. لقد تفاقمت المعاناة بسبب البرد الذي صادفناه في الجبال العالية في طريقنا الى منتجع (بن ليسى) اضافة الى الجوع والنعاس والارهاق والخوف على الاطفال ووجهتنا Mergever ، كانت الجموع الغضيرة تتسارع لتترك هذا الموقع القارس البرودة، وكان الاطفال ييكون من شدة البرد اللاذع ولم تكن حمايتهم ممكنة. ودفنا عدداً من موتانا هناك. ولم نصحب معنا أدوات لحفر القبور، فأضطررنا الى دفنهم في المخابىء او الحفر الطبيعية. كما عانت الحيوانات من قلة الاعشاب في تلك الاصقاع النائية.» (١)

كان من نتائج تحول الجيش الاحمر من حالة الدفاع الى الهجوم أن تم طرد القوات الالمانية من الاراضي السوفيتية وتابعت القوات الروسية تقدمها بعد المعركة الظاهرة في ستالينغراد في شتاء ١٩٤٢ - ١٩٤٣ واصبح بإمكان الإتحاد السوفيتي تعزيز مكانته على المستوى الدولي. فبموازاة الهجوم المضاد ضد القوات الالمانية في عام ١٩٤٣، شنّ الإتحاد السوفيتي حملة دبلوماسية باتجاه الشرق الاوسط، فتم اعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر، وقام ممثلو وزارة الخارجية السوفيتية بزيارة الدول العربية. كما زاد اهتمام موسكو بإيران، اضافة الى سعيها للحصول على تنازلات هامة تتعلق بالنفط الايراني. كل ذلك ساهم في ان تصبح القضيتان الكردية والأذربيجانية من القضايا التي تهتم بها موسكو في تعاملها مع طهران. ويعتقد عدد من المؤرخين أن بوادر الحرب الباردة ظهرت نتيجة الصراع الشيوعي - الرأسمالي على ايران. (٢)

كان لانتهاة الحرب الكونية الثانية، وبروز وضع سياسي عالمي جديد وعبور البارزانيين في هذه الظروف الى كردستان - ايران - حيث يسود النفوذ السوفيتي، أن أخذ المعسكر الرأسمالي يعتبر كل حركة تحررية كردية هي في صالح المعسكر الشيوعي. وكانت تركيا والعراق وايران متخوفة من بناء علاقة سوفيتية - كردية.

ناهز عدد البارزانيون مع حلفائهم عند دخولهم الحدود الايرانية الى (١٠,٠٠٠) شخص، ضمنهم النساء والشيوخ والاطفال، بينهم حوالي ٣٠٠٠ رجل يمكن تجنيدهم.... بعد وصول آلاف العوائل الى كردستان - ايران - في ١٠ / ١١ /

نزوح وموت جماعي

١٩٤٥ اتصل ملا مصطفى مصحوباً بحمزة عبدالله ومير حاج احمد بالجنرال السوفيتي Lioubov الذي ابلاغهم بوجوب مغادرة ايران، اذ كان السوفيت آنذاك يعتبرون ملا مصطفى «عميلاً لبريطانيا» (٣) بعدها اقترح الطرف الكردي السماح للعوائل بالبقاء حتى نهاية فصل الشتاء في حين يغادرها المسلحون. وبعد عشرة أيام وافق السوفيت على بقاء العوائل، بينما غادر ملا مصطفى مع عدد من الرجال المسلحين الى القرى الحدودية النائية.

يقول كاظم شانديري:

«توجه العديد من البارزانيين ضمنهم شيخ بارزان الى مهاباد. في حين سكن بابو وملا مصطفى مدينة شنوي، وسكن محمد صديق وشيخ سليمان مدينة نغده. وسكن آخرون مدينة بوكان. كما رافقت مئات العوائل حجي طه آميدي للسكن في أطراف مدينة مراغه.

وصلنا الى قرية نوقى وفي سهل (مه ركه فه ر) في كردستان. ايران. توزعت الحشود الكبيرة من المهاجرين على القرى المتناثرة. سكن أسعد خوشفي مع مجموعات من قبيلة المزوري قرى سهل تلكه فه ر بين اوساط البكزاده. ومجموعات اخرى سكنت قرى ده شتى بيلي (سهل بيلي) وقرى ده شتى لاجاني (سهل لاجاني) لدى المامش وسكن نوري شيرواني ومعه آخرون قرى سهل سلدوز. لقد اقتضى إستيطاننا جميعاً في القرى المتفرقة بعض الوقت. فحلّ الشتاء الذي لاعهد لنا بمثله. في قرية (عه له بي) حيث منحنا الأغا غرفة لثمانية أشخاص، وكان أبي معنا، وفي احدي الليالي هطلت ثلوج غزيرة، فأغلقت الباب علينا ولم نتمكن من الخروج، الا ان اهل القرية هرعوا لنجدتنا. كان الطعام نادراً جداً ولم تكن لدينا نقود لشراء الارزاق. كان الاهالي اسخياء معنا لكنهم ايضا لم يكونوا ميسوري الحال. هلك قطيعنا المؤلف من حوالي خمسين رأس ماعز جوعاً اذ لم يكن بمقدورنا تزويد العلف له. وكنا جميعاً مرضى جرأ سوء التغذية والبرد القارس. وكان أبي يقول: لأستطيع عمل شيء لكم غير تقديم الماء».

علاوة على البؤس والجوع والبرد تفشى مرض التيفوس بشكل واسع إذ مات في مهاباد ١٠٨ بارزاني في مسجد معروف باسم (مزكه فتا سور) ودفنوا في مقبرة صبلاخ. و حصدالموت أفراد بعض العوائل برمتها بحيث لم يبق وريث لها. وكان البارزانيون يحضرون القبور سلفاً لأنهم كانوا متيقنين من موت عدد آخر من المرضى. لقد أصبح الموت شيئاً مألوفاً. وفي مدينة شنوي توفيت (سمياء) عقيلة الشيخ عبدالسلام ودفنت في نفس المدينة.

المقاومة الكردية

كان علي آغا خيرزوكي قد سكن في قرية سهل مه ركه فه ر القريبة من الحدود العراقية، وإتجه بصحبة مفرزة من المسلحين نحو مناطق بارزان، وفي الطريق وقع في كمين نصبه بعض المرتزقة في منطقة برادوست. فلقى خمسة منهم حتفهم وجرح عدد آخر، ضمنهم على آغا نفسه، وبصعوبة بالغة أعادوا الجرحى الى مهاباد وتركوا الموتى حيث جاء المرتزقة ليقطعوا آذانهم ويقدموها للحكومة العراقية وتركوا اجسادهم تحت الثلوج حتى الربيع .

كذلك غادر حسين بيروخي مع عدد من رجاله الى اوساط الكرديين، وبقي هناك في الجبال شريداً حتى الربيع، وعندما علم ان مفرزة من البوليس تعود من قرية زيت المحتلة الى شيروان مازن، كمن لها في الطريق وفتح عليها النيران وقضى على عدد من افرادها واستولى على عدد من البنادق والذخيرة وعاد بعد ذلك الى جمهورية كردستان».

ويشير ارشيف بريطاني الى: « ان العدد الأكبر من البارزانيين هم في منطقة ده شته بيل ، وهناك ٧٠٠ عائلة في سلدوز ، وجميعهم يعيشون حالة مزرية.» (٤)

كانت الحكومة التركية قلقة لما يحدث في اي جزء من أجزاء كردستان، وكانت تبالغ وتضخم الاحداث الكردية. ففي برقية من بغداد الى الخارجية البريطانية مؤرخة في ٢٠ / ١٢ / ١٩٤٥ تشير:

« ارسل هذا الصباح رئيس الوزراء العراقي الى المستشار الشرقي رسالة، كان قد استلمها من السفير التركي في بغداد، وهي رسالة شخصية من وزير الخارجية التركي وهو صديق دراسة قديم لرئيس الوزراء العراقي حمدي الباجي تشير الى مايلي:

٢. غادر ملا مصطفى الى موسكو، وتبنى المجلس النيابي السوفيتي قراراً لمصلحة الاستقلال الكردي، ويقال ان الروس اعطوا ملا مصطفى الاسلحة التي غنموها من الالمان لكي يقوم من جديد بالتمرد في العراق. وقام القائم بالأعمال الروسي في لبنان بتهنئة الاكراد وابلغهم بهذا القرار.

٣. وأضاف فخامته بأن العبارة الاخيرة تعني ان الروس ينوون استخدام كردي اسمه بكداش (يعني خالد بكداش) الذي يقيم في لبنان لكي يقود الجمهورية الجديدة. ودعى الى التأكد من صحة التقرير نظراً لمصدره.» (٥)

والواقع كان غير ذلك، اذ سبق وان نوهنا الى عدم ثقة السوفييت بملا مصطفى، واضطرار الاخير الى الابتعاد نحو القرى الحدودية النائية مع عدد من المسلحين لفترة محددة. لكن فيما يتعلق بالشعبين الكردي والآزري كان

نزوح وموت جماعي

السوفييت ينوون استخدام ورقة القوميات لتعزيز نفوذهم، خاصة وان الحرب العالمية انتهت بتوسع هائل للنفوذ الشيوعي في اوروبا .

وفي كل الاحوال لم ينفرد ملا مصطفى بعدم ثقة السوفيت اول الامر، إذ شمل الارتياح حه مه رشيد خان الذي وصل من كردستان الجنوبية الى كردستان الشرقية، وقد إمتعضت السلطات الفارسية من هذا التطور، إذ بدت مهاباد كمظلة يتجمع تحتها الاكراد من مختلف أجزاء كردستان، مما يضي عليها بعداً دولياً .

إستفرت بريطانيا من تنامي الاهتمام السوفيتي بالأكراد، ففي وثيقة معنونة بـ «روسيا والأكراد» مؤرخة في ١٠ / ١ / ١٩٤٦ أي قبل ١٢ يوماً من اعلان ولادة الجمهورية الكردية، تقترح اتباع سياسة جديدة تجاه جميع الاكراد في الدول التي تقسم كردستان:

« واضح الآن تماماً ان روسيا دخلت بلا هوادة حلبة الصراع السياسي في المنطقة. فماذا ستفعل مع الاكراد، وكيف سيكون ردنا ؟ يستغل الروس حالياً القضية الارمنية، ويأتي الاكراد في المرتبة الثانية. وقد دعت روسيا أرمن المهجر الى ان يرفعوا صوتهم بالمطالبة بقارس وأردهان. وسنسمع من الآن فصاعداً من اكراد المهجر أن الأوضاع السائدة في تركيا وفارس والعراق لاتطاق.

ان التصريح الذي مضاهه ان «دولة كردية سوفيتية سيعارضها معظم زعماء الاكراد غير صحيح. اذ في كل بلدة يطلب الاكراد بصورة عفوية انشاء المستشفيات والمدارس وحق الحكم الذاتي، وعلاوة على ذلك فهم يطلبون احياء لغتهم وتطوير ثقافتهم. وان لم تستجب هذه الدول لهذه المطالب الواقعية والمتأصلة في نفوس الاكراد. فبإمكان روسيا إعلان الدولة الكردية في اية لحظة مناسبة تختارها وستستقبل فوراً بالترحيب.

مقترح عمل

يتوجب علينا اتخاذ إجرائين في آن واحد:

١. إعلام روسيا بأننا نعتبر الدول الاربع. تركيا وفارس والعراق وسوريا دولاً ذات تأثير أساسي في مصالحننا الحيوية، ولهذا فإننا نميل نحن الى تحرير الاقليات في المناطق التي تتطلب ذلك في تلك الدول.

٢. ولكي نتقدم على هذا الطريق. اذ لم تقم اي من هذه الدول بحل مشكلتها الكردية، وهم لن يستجيبوا لذلك دون ممارستنا ضغوطاً هائلة عليهم، ويعرفون نوايانا الخيرة مقارنة بالآخرين، يجب علينا إقناع هذه الدول

المقاومة الكردية

بإتخاذ المبادرات المتعلقة بالحكم الذاتي المحلي لمواطنيها الاكراد. فنوري السعيد يفضل منح الحكم الذاتي غداً لأكراد العراق. وإذا ما واجه الترك الخيار بين فقدان المقاطعات الشرقية في بلادهم أو التعامل بإنصاف مع أكرادهم، أعتقد انهم سيختارون الحل الثاني.... وستذعن سوريا.. وحتى فارس فإنها ستسعى الى إنقاذ ماتبقى من بلادها.

يمكن تلخيص الإجراءات الواجب اتخاذها في جملة واحدة.....المبادرة . قبل فوات الأوان.

وليس هناك سوى إجراءات الاوتونومي المحلي (الحكم الذاتي) حيث مارستها روسيا بنجاح تام في تعاملها مع أقلياتها في القفقاس. فجراء هذه الاجراءات تحول الأرمين العنيدون الى أقلية موالية، وستثبت هذه الإجراءات أثرها الفعال أكثر بكثير مع الأكراد.

في كل الأحوال ليس هناك وقت للمماطلة، إما ان نقوم نحن بذلك أو ندع روسيا تقوم بما تريد.»

١٠ كانون الثاني ١٩٤٦ (٦)

تابعت بريطانيا التطورات في الموقف السوفيتي تجاه الاكراد من معظم عواصم الشرق الاوسط وحيث تتواجد سفاراتها وقنصلياتها . ففي برقية سرية من موسكو الى الخارجية البريطانية ومكررة الى طهران وبغداد وانقره: مؤرخة في ١٩٤٦/١/٢٤ أي بعد ستة أيام من اعلان جمهورية كردستان في مهاباد، تقول:

«لم ينعكس بعد الاهتمام السوفيتي المتنامي بالمشكلة الكردية في الصحافة السوفيتية. نشرت «Moscow News» عدد كانون الثاني /يناير ٢٦ / ١ / ١٩٤٦ (تصدر باللغة الانكليزية) مقالة خاصة بشأن الانتخابات العامة السوفيتية. توحى المقالة بأن السلطات السوفيتية ربما تشعر الآن بضرورة شن حملة دعائية لمصلحة الاكراد على النمط المألوف في آذربيجان وأرمينيا إضافة الى اهتمامها بالحقوق القومية والمطالب الجورجية.

٢ . خصصت المقالة لبطل كردي في الاتحاد السوفيتي مقيم الآن في أرمينيا، وإذا ما إنتخب للمجلس السوفيتي الأعلى فسيصبح العضو الكردي الثاني فيه، ولكن هذه ذريعة للتنديد بالأتراك، فإحتلالهم لقارس بعد الحرب العالمية الاولى أجبر العديد من الكرد على الهجرة الى أرمينيا السوفيتية. ويعتبر هذا أيضاً إطرأ